محيي الدين الحاج عيسى الصفدي

مصرع كليب

obeikandl.com

صورة المؤلف

obeikandl.com

مصادر القصة

---

(١) الأغانى

(٢) العقد الفريد

(٣) ابن الأثير

(٤) خزانة الأدب

(٥) أيام العرب

obeikandl.com

obeikandl.com

القصة

« كليبُ بنُ ربيعة : اسمه وائل وكليب لقبه ولد نحو سنة ٤٤٠ م ونشأ فى حجر أبيه ودُرِّب على الحرب ثم تولى رياسة الجيش : بكر وتغلب زمناً حتى قتله جساس بن مُرّة سنة ٤٩٤ م[1] » .

« يوم خزاز[2] »

ذكر ابن الأثير عن هذا اليوم ، أن ملكاً من ملوك اليمن كان فى يديه أسارى من مُضر وربيعة وقُضاعة فوفد عليه وفدٌ من وجوه بنى معدّ ومنهم سدوس بن شيبان ، وعوف بن محلم وعوف بن عمرو وجُشم بن ذهل فاحتبس الملك عنده بعض الوفد رهينة وقال للباقين إيتونى برؤساء قومكم لآخذ عليهم المواثيق بالطاعة لى وإلاّ قتلت أصحابكم .

فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم الخبر فاجتمعت مَعَدٌّ على كليب وائل وسار بهم وعلى مقدمته سَلَمةُ بن خالد المعروف بالسفّاح التغلبى وأمرهم أن يوقدوا على « خزاز » ناراً ليهتدوا بها فبلغ مذحجاً اجتماع ربيعة ومسيرها فأقبلوا بجموعهم

---

(١) شعراء النصرانية (٢) خزاز جبل ما بين البصرة إلى مكة

واستنفروا من يليهم من قبائل اليمن وساروا إليهم فلما سمع أهل تهامة بمسير مذحج انضموا إلى ربيعة ووصلت مذحج إلى « خزاز » ليلاً وكان كليب قال لسلمة إن غشيك العدوّ فأوقد نارين فلما رأى جموع مذحج أوقد نارين فأقبل كليب بالجموع وصبح مذحجاً بخزاز واقتتلوا قتالاً شديداً أكثروا فيه القتل وانهزمت مذحج . اه

لما فضّ كليب جموع اليمن فى « خزاز » وهزمهم اجتمعت عليه معدّ كلها وجعلوا له قسمَ الملك وتاجه ونجيبته وطاعته وغَبَر بذلك حيناً من دهره ثم دخله زهوٌ شديد و بغى على قومه لما هو فيه من عزة وانقيادِ مَعَدٍّ لَهُ ، حتى بلغ من بغيه ، أنه كان يحمى مواقع السحاب فلا يُرعى حماه و إذا جلس لا يمرُّ أحدٌ بين يديه إجلالاً له ، ولا يحتبى أحدٌ فى مجلسه غيرُه ، ولا يُغير إلا بإذنه ، ولا تورَد إبلُ أحدٍ مع إبله ، ولا توقَد نارٌ مع ناره ، ولم يكن بكرىٌ ولا تغلبىٌ يجير رجلاً ولا بعيراً أو يحمى حمًى إلا بأمره وكان يُجير على الدهر فلا تخفر ذِمَّتُه ، وكان يقول وحش أرض كذا فى جوارى فلا يُهاج ، وكان هو الذى يُنزل القومَ منازلهم و يرُحّلهم ولا ينزلون ولا يرحلون إلاَّ بأمره ، وقد بلغ من عزته و بغيه أنه اتخذ جِرْوَ كلبٍ فكان إذا نزل منزلاً فيه كلأ قذف ذلك الجِرْوَ فيه فيعوى فلا يرعى أحدٌ ذلك الكلأ إلاَّ بإذنه وكان يفعل هذا بحياض الماء فلا يردها أحدٌ إلاَّ بإذنه أو من آذن بحرب. فضُرِب به المثلُ فى العز فقيل

أعزُّ من كليب وائل وكان يحمى ٱلصيدَ فيقول : صيدُ ناحيةِ كذا فى جوارى فلا يصيد أحدٌ منه شيئاً .

وتزوج كليب جليلة بنت مُرَّة بن ذهل بن شيبان وكان لِمُرَّة عشرة بنين جساس أصغرهم وكانت بنو جُشم و بنو شيبان تقيم فى دار واحدة ، إرادة ٱلجماعة ومخافةَ ٱلفرقة .

وكان لجساس خالةٌ ٱسمُها « ٱلبسوس » بنت منقذ وهى التى يقال عنها أشأم من ٱلبسوس ، جاءت ونزلت على ٱبن ٱختها جسّاس ، فكانت جارةً لبنى مرة ، ومعها ناقةٌ خوّارة[1] ومعها فصيل .

فبينا جليلةُ تغسل رأس كليب زوجها وتُسرِّحه[2] ذات يومٍ ، قال لها : من أعزُّ وائل ؟ فصمتت ، فأعاد ، فلما أكثر عليها ، قالت : أخواىَ جساسٌ وهمّام فنزع رأسهُ من يدها وأخذ ٱلقوس ، فرمى فصيلَ ناقةِ ٱلبسوس فقتله ، فأغمض بنو شيبان وسكتوا على ذلك . ثمَّ لقى ٱبنَ ٱلبسوس فقال له : ما فعل فصيل ناقتكم ؟ قال : قتلتهَ وأخليت لنا لبنَ أمّه ، فأغمضوا على هذه أيضاً .

ثم إنَّ كليبا أعاد على ٱمرأته فقال : من أعزُّ وائل ؟ فقالت أخواىَ ، فأضمرها فى نفسه وسكتَ حتى مرّت به ٱلإبل فرأى بينها ناقة ٱلبسوس فأنكرها فقال : ما هذه ٱلناقة ؟ قالوا لخالةِ جسّاس ، قال : أوَ بلغ من أمر

---

(١) الناقة الخوارة : الغزيرة اللبن (٢) تسرحه : تمشط شعره

أبن السَّعدية أن يُجير علىَّ بغير إذنى ، إرمِ ضرعها يا غلام . فأخذ ألقوس فرمى ضرعَ ألناقة فأختلط دمُها بلبنها .

وراحت الرُّعاة لجسّاس فأخبروه بالأمر ، وراحت الناقة ولها عجيج[١] ، حتى بركت بفناء البسوس ، فلما رأتها صاحت : واذلاه ! فقال لها جساس اسكتى لا تُراعى فلك بناقتك ناقة خير منها و إنى سأقتلُ بها جملاً ، سأقتلُ غلالاً[٢] .

ثم ظعن ابنا وائل بعدذلك فمرَّت بكرٌ على « نَهْيٍ[٣] » يقال له « شُبَيْث » فنفاهم كليبٌ عنه وقال : لا يذوقون منه قطرة ، ثم مروا على نَهْى آخر يقال له « الأَحصّ » فنفاهم عنه وقال لا يذوقون منه قطرة ، ثم مروا على « بطن الجريب[٤] » فمنعهم إياه ، فمضوا حتى نزلوا « الذنائب » واتبعهم كليب وحيُّه حتى نزلوا عليه فمر عليه جساس ومعه ابن عمه عمرو بن الحارث وهو وحده على « غدير الذنائب[٥] » فقال له طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشاً فقال كليب : ما منعناهم عن ماء إلا ونحن له شاغلون . فقال له : هذا كفعلك بناقة خالتى ، قال : أوَقد ذكرتَها ؟ أما إنى لو وجدتُها فى غير إبل مُرَّة

---

(١) العجيج : الصياح ورفع الصوت (٢) غلال : خل إبل كليب
(٣) النهى : كل موضع يجتمع فيه الماء
(٤) بطن الجريب : واد عظيم تجىء أعاليه من قبل اليمن
(٥) الذنائب : موضع فى نجد على طريق البصرة إلى مكة

لاستحللتُ تلك الإبل بهـا ، أتُراك مانعى أن أذبَّ عن حِماىَ ! فعطف عليه جساس فرسَه فطعنه برمح فأنفذ حضْنَيْهِ[١] . فلمـا تداءمه[٢] الموت ، قال يا جساس : اسقنى من الماء ، فقال : ما عقلت استسقاءك الماءَ منذ ولدتك أمُّك إلا ساعتك هذه ؟ فلقد تجاوزت « شُبيثا » و « الأحص » وكان قد عطف عليه عمرو من خلفه فطعنه فقطع بطنه . وأمال جساس يده بالفرس حتى انتهى إلى أهله وقد بدت ركبتاه، فقالت أخته حين رأته لأبيها: إنَّ ذا الجساس أتى خارجاً ركبتاه ، فقال والله ما خرجت ركبتاه إلا لأمرٍ عظيم ، فلمـا جاء قال ما وراءك يا بُنىَّ ؟ قال ورائى أنى طعنت طعنةً لتُشغلنَّ بهـا شيوخُ وائلٍ زمنا . قال : أقتلتَ كليباً ؟ قال : نعم . قال وددتُ أنك وإخوتك كنتم مُتُّم قبل هـذا ، ما بى إلا أن تتشاءم بى أبناء وائل ، فأقبل قوم مرة عليه وقالوا : لا تقل هـذا ولا تفعل ، فيخذلوه وإياك ، فأمسك مُرَّة ، وارتحلت بنو شيبان حتى نزلوا بماءٍ يقال له « النَّهى » . وكان همَّام أخو جساس قد آخى « مهلهلاً » أخا كليب واسمه عدىّ بن ربيعة ، وإنما قيل له المهلهل لأنه أول من هلهلَ الشعر أى أرقَّه، وعاقده أن لا يكتمه شيئاً . فـكانا جالسين يشربان فمرَّ جساس يركض به فرسه ، فقـال همام : إن له لأمراً والله ما رأيتهُ كاشفاً فخذيه قط فى ركض . فلم يلبث إلا قليلا حتى جاءته الخادم ومعها فرس فسارَّتهُ أن جساساً قتل كليباً،

---

(١) حضنيه : جانبيه (٢) تداءمه : غشيه

فقال له مهلهل : ما أخبرتك ؟ فقال : أخبرتني أن أخي قتل أخاك كليباً ، فضحك المهلهل وقال : همة أخيك أضعف من ذلك . ثم اقبلا على شرابهما حتى صرعت الخمر مهلهلاً ، فانسلّ همّام وركب الفرس الذى أتته به الجارية ، وسار حتى لحق بأهله .

وطردت أختُ كليبٍ جليلة امرأة أخيها فقالت لها يا هذه اخرجى عن مأتمنا فأنتِ أختُ واترنا وشقيقة قاتلنا ، فخرجت وهى تجرُّ أعطافها ، فقالت لها: رحلة المعتدى وفراق الشامت ، ويلٌ غداً لآل مُرَّة ، من الكرَّة بعد الكرَّة. فقالت جليلة وكيف تشمتُ الحرة بهتك سترها وترقب وترها ، أسعد الله جَدَّ أختى ، أفلا قالت : نفرة الحياء وخوف الاعتداء ، وسارت حتى لحقت بأهلها.

ورجع المهلهل إلى الحى فرآهم يعقرون خيولهم ويكسرون رماحهم فقال : ويحكم ! أتعقرون خيولكم حين احتجتم إليها ، وتكسرون سلاحكم حين افتقرتم إليه . ورجع إلى النساء فنهاهنّ عن البكاء وقال لهن : استبقين للبكاء عيوناً تبكى إلى آخر الأبد .

ثم جزَّ شعره وقصَّر ثوبه وآلى على نفسه أن لا يقرب الخمر والنساء ، ويهجر الغزَل ويترك القمار ولا يشم طيباً ، ولا يدّهن بدهن ، حتى يقتل بكل عضو من كليب رجلاً من بنى بكر . وجمع إليه قومه ، وحثَّهم على الأخذ بالثأر فقال له أكابر قومه : إننا نرى ألا تعجل بالحرب حتى تُعذِر إليهم ،

فانطلق رهط[١] من تغلب حتى أتوا مُرة بن ذهل فعظّموا ما بينهم و بينه وقالوا له : إختَرْ مِنَّا خصالاً : إمّا أن تدفع إلينا جسّاساً فنقتله بصاحبنا ، فلم يظلم من قتل قاتِلَه ، و إمّا أن تدفعَ إلينا همّاماً و إما أن تُقيدنا من نفسك . فسكت وقد حضَرتْهُ وجوهُ بكر بن وائل ، فقالوا تكلم غير مخذول ، فقال : أما جسّاس فغلامٌ حديثُ السنّ ركب رأسَه[٢] فهرب حين خاف فلا علم لي به . وأما همّام فأبو عَشَرة وأخو عشرة وعم عشرة ، ولو دفعتُه إليكم لَصيّح بنوه فى وجهى ، وقالوا : دفعتَ أبانا للقتل بجريرة غيره ، وأما أنا ، فلا أتعجّلُ الموت وهل تزيدُ الخيلُ على أن تجولَ جولةً فأكونَ أولَ قتيل . ولكن هل لكم فى غير ذلك ؟ هؤلاء بَنِيَّ فدونكم أحدَهم فاقتلوه به . و إن شئتم فلكم ألف ناقةٍ سوداء المُقل تضمنها لكم بكر بن وائل ، فغضبوا وقالوا : إنّا لم نأتك لتؤدى لنا بنيك ، ولا لتسومَنا اللبن . فتفرقوا ووقعت الحرب .

وكان الحارثُ بنُ عبّاد من حُكام بكر وفرسانها المعدودين ، فلما علم بمقتل كليب أعظَمه وقال : لا ناقةَ لي فى هذا ولا جمل واعتزل الحرب بأهله وولد إخوته وأقاربه .

كانت حربُهم أربعين سنة فيهنّ خمس وقعاتٍ مزاحفات وكانت تكون بينهم مغاورات[٣] وكان الرجل يلقى الرجل والرجلان الرجلين ونحو هذا .

---

(١) الرهط الجماعة من الثلاثة إلى العشرة (٢) مضى على وجهه هائماً

(٣) المغاورات من غاور القوم إذا أغار بعضهم على بعض

وأول وقعةٍ كانت على ماءٍ لهم يقال له « النَّهى » وهو الذى نزل عليه بنو شيبان بعد مقتل كليب ، فكانت الدائرة لتغلب إلا أنَّه لم يقتل فى ذلك اليوم أحدٌ من بنى مُرَّة .

ثم التقوا « بالذنائب » فظفرت بنو تغلب ، وقَتَلَتْ بكراً مقتلةً عظيمة ، ذهب فيها كثيرٌ من سادات بكر وفرسانها .

ثم التقوا بواردات فظفرت بنو تغلب واستحرَّ القتل فى بنى بكر وفى هذا اليوم قُتِل همَّام بن مُرَّة فمرَّ به المهلهل مقتولاً فقال والله ما قُتِلَ بعد كليب قتيل أعزُّ علىَّ فقداً منك .

ثمَّ التقوا بعُنيزة فظفرت تغلب أيضاً .

ثم التقوا بالقُصَيبات فكانت الدائرة على بكر .

وطلبت تغلب جسَّاساً أشدَّ الطلب ، فألحَّ عليه أبوه ، فسيَّره سراً إلى أخوالهِ بالشام فى خمسة نفرٍ ، و بلغ الخبرُ مهلهلاً فندب أبا نُوَيرة ومعه ثلاثون رجلاً ، فأدركوا جساساً فقاتلهم ، فقُتل أبو نويرة وأصحابُه ولم يبق منهم غيرُ رجلين ، وجُرِحَ جساس جُرحاً شديداً مات منه ، وقُتل أصحابه فلم يسلم منهم غير رجلين أيضاً[1] .

---

(١) وذكر الأغاني أن قاتل جساس هو الهجرس بن كليب فى قصة طويلة هى إلى الخيال أقرب منها إلى الحقيقة

فلما قتل جساس أرسل أبوه إلى مهلهل ، إنك قد أصبت ثأرك وقتلت جساساً فاكفف عن الحرب ، فلم يُجب إلى ذلك .

فاجتمع بنو بكر إلى الحارث بن عباد ، وقالوا له : قد فنى قومُك ، فأرسلَ ابنَه بُجيراً إلى مهلهل وقال : قل له : إنى اعتزلتُ قومى لأنهم ظلموك وقتلوا أخاك بناب من الإبل فخليتُك وإياهم وقد أدركتَ ثأرك وقتلتَ قومَك ، فأتاه بُجير فهمَّ المهلهلُ بقتله ، فقال له امرؤ القيس بن أبان ، وكان من أشراف بنى تغلب: لا تفعـــل وإياك أن تحقر البغى فإنَّ عاقبتَهُ وخيمة ، فأبى المهلهل إلا قَتْلَه ، فطعنه بالرمح وقال له : « بؤ بشِسْعِ نَعْلِ كليب » .

فلما بلغ الحارثَ ذلك ، غضب غضباً شديداً وارتحل حتى نزل مع جماعة بكر بن وائل وتهيأ للحرب .

وكان اليوم الذى شهده الحارث هو يوم « قضة » يوم « تحـلاق اللمم » فهُزمت تغلب بعد أن أثخنت فيها بكرٌ القتلَ .

وفيه أسر الحارثُ بن عباد مهلهلاً وهو لا يعرفه ، فقال لهُ دُلنى على مهلهل وأخلى عنك ، قال : ولى ذمتُك وذمة أبيك . قال : نعم . قال : فأنا مهلهل . قال : دُلنى على كفءٍ لبجير ، فقال لا أعلمه إلا امرأ القيس بن أبان ، فشدَّ على ابن أبان فقتله ، وجزَّ ناصية مهلهل وخلَّى عنه .

فأتى مهلهل قومَه وحثَّهم على الصلح ثم فارقهم إلى اليمن ونزل فى بنى « جنب » وهى بطنٌ فى مَذْحج ، حتى لا يرى هو قاتلى كليب .

وخطب إليه أحد بنى جنب ابنتَه فأبى ، فأكرهوه على ذلك وساقوا إليه فى صداقها جلوداً من أدم .

وكانت جموع تغلب قد ملت الحرب فصالحوا بكراً ورجعوا إلى بلادهم وتركوا الفتنة .

أما مهلهل فإنه فارقَ « جنباً » قافلاً إلى قومِه فأسره عمرو بن مالك بن ضُبيعة البكرى فأحسن إساره ، فمرَّ عليه تاجرٌ يبيع الخمر وكان صديقاً له ، فأهدى إليه زِقاً ، فاجتمع شُبّان من قيس بن ثعلبة « قبيلة عمرو » ونحروا وشربوا فى بيته الذى أُفرد له ، فلما أخذ منه الشراب تغنَّى بشعرٍ ناح فيه على أخيه واستهلَّه بذكر امرأة عمرو ، فبلغ ذلك عمراً فحلف : لا يذوق مهلهلُ خمراً ولا ماءً ولا لبناً حتى يردَ « رَيبُ الهضاب » ، ورَيب جملٌ لعمرٍو ، كان أقلَّ وروده الخمس أى لا يردُ الماء إلا مرَّة كل خمسة أيام ، فقال له أناسٌ من قومه : بئس ما حلفت وأرسلوا فى طلب البعير ليسقوه الماءَ ، فأتَوا به بعد ثلاثة أيام وكان مهلهل قد مات عطشا اهـ .

أشخاص القصـــــــة

كليب بن ربيعة : سيد تغلب

مرة بن ذهل بن شيبان : عم كليب

همام : أكبر أبناء مرّة

جساس : أصغر أبناء مرّة

الحارث بن عُباد : شيخ بنى عُباد من بكر

عمرو بن الحـارث : ابن عم جساس وشريكه بالقتل

تميم بن مالك : أحد شيوخ بنى بكر

عامر ، عوف ، قيس : قافة أثر

امرؤ القيس بن أبان : أحد فرسان تغلب

عدى بن ربيعة (المهلهل) : أخو كليب

أبو نويرة : أحد فرسان بنى تغلب

الهجرس : ابن كليب

بجير : ابن الحارث بن عباد

سعد : خادم كليب

جليلة : امرأة كليب

مسعود : خادم جساس

البسوس : خالة جساس وجارته

سعدى : أخت جليـلة

دعد ، رباب : جاريتان مغنيتان

وطفاء : جارية مُرّة

هند : أخت كليب

ام ليلى : امرأة المهلهل

ليلى وسلمى : بنتاه (صغيرتان)

[النكرات المسرحية]

رعاة ، أتباع ، شيوخ، عرّاف ، فرسان ، نساء

[الأشخاص الموضوعة]

عامر ، عوف ، قيس ، سعد ، مسعود ، سُعدى ، هنـــد ، دعـــد ، رباب وطفاء ، العراف

جليلة سَرِّحِى شعرى وألقى فوقهُ الغارا
وبُثِّى فى غدائره زكىَّ الطيب مختارا

obeikandl.com

obeikandl.com

الفَصْلُ الأوَّل

« المنظر الأول »

[المشهد الأول]

« فى ربوع نجد . خيام بنى تغلب وإلى جانبها خيام بنى بكر . »

« كليب ، وامرأته جليلة تسرِّح شعره فى خيمته »

كليب : جليلةُ سرِّحى شَعرى وألقى فوقه الغـــارا
وبُثِّى فى غدائره(١) زكىَّ الطيبِ مُختـارا
فقد أصبحتُ أقوى النا س أعواناً وأنصـــاراً
وأمجدَهم إذا نَدبوا غداة الرَّوع مغوارا
أجلْتُ بمَذْحِجٍ(٢) سيفى بيوم « خَزازَ(٣) » بتَّارا
وأجريتُ الدِّما فيـــه على الغبراء أنهـارا
فمن مثلى يقود الجيشَ فى الغـاراتِ جرَّارا ؟
ومن مثلى يُعزُّ الجـارَ إن دهرٌ به جارا ؟
ومن مثلى يُطاع إذا عصى الأقوامُ جبّارا ؟

---

(١) الغدائر : جمع غديرة : الذؤابة
(٢) مذحج : قبيلة يمنية
(٣) خزاز : جبل ما بين البصرة إلى مكة

ويحمى الماء والمرعى ويجزى من عصى النارا
مليكٌ لا يُدانينى مليكٌ يحملُ الغارا

جليلة : كليبٌ يا حياةَ النَّفْسِ هذا الفضلُ مِن ربّك
فلا تُكثِرْ رعاك اللهُ أخشى الشرَّ مِن عُجْبك
لقد أخلصتَ لى حُبًّا وقد أخلصتُ فى حُبك
وفى الحىِّ لنا نِدٌّ عزيز الجار فى قُربك
شديد البأس يوم الرّوع ، لا ينفكُّ من صحبك
أبىٌّ يأنف الدُّنيا[1] ندىٌّ[2] من نَدى سُحبِك

كليب : وجليلة كأنها غير مُصغية لما يقول :
من أعزُّ وائلٍ ؟ يا جليلةُ اسمعى
من أعز وائلٍ ؟ أجملى[3] القول أو دَعى

جليلة : هما أخواىَ يوم الفخـــــر جَسّاسٌ وهمّامُ
هما الليثانِ فى شيْبانَ لا يعروهما ذام[4]

كليب بانفعال : أجسّاسٌ وهمامٌ أعزُّ الناس ؟

جليلة : لا تغضبْ
هما عيناىَ فى الدنيا وأنت القصدُ والمأربْ

---

(١) الدنيا : مؤنث الأدني من دنى يدنى : ضعف وسقط
(٢) ندى الكف : كريم
(٣) أجمل الكلام : ذكره من غير تفصيل (٤) الذام : العيب والذم

obeikandl.com

[المشهد الثانى]

كليب متظاهراً بالرِّضى :

دعينا جليلةُ من ذا الكلامِ ... وهيّا نراقبْ رواحَ النَّعَمْ(١)
لقد برزتْ من وراء الكثيبِ ... تَحِنُّ لأعطانِها(٢) بالنَّغَمْ

جليلة :

وقد حضَنَ الشمسَ حِجرُ المغيبِ ... فألقتْ على الأرض معنى السَّقَمْ
ومعنى القطيعةِ بعد الوفا ... ومعنى التجهُّمِ(٣) بعد الكرمْ

كليب :

ألا تطربين لحسن النياقِ ... وقد شابهَ اللونُ منها العَنَمْ؟(٤)
وضاقَ بها الحيُّ من عدّها ... وأربى على الأفقِ منها السَّنِمْ(٥)

جليلة :

هنيئاً لك الملكُ يا سيدى ... لقد حزتَه للعُلى والكرمْ
فذاك فصيلٌ أطال الرُّغاء(٦) ... وطار إلى أمّه فالتقمْ
وتلك الإفال(٧) تشُدُّ العقالَ ... وقد أحكم العقلَ منها الحدم
تروم التخلُّصَ من حبسها ... وقد غارمِنْها صغارُ البَهَمْ(٨)

---

(١) النعم : الإبل والشاء
(٢) الأعطان : جمع عطن : مراح الإبل ومأواها
(٣) تجهمه : استقبله بوجه كريه (٤) العنم : شجر ثمره أحمر
(٥) السنم : البعير العظيم السنام (٦) الرغاء : صوت ذوات الخف
(٧) الإفال : جمع أفيل وهو صغير الإبل (٨) البهم جمع بهمه : أولاد الضأن والمعز والبقر

وكم فى البريَّةِ من بائسينَ تحكم فى أمرهم مَن ظلم
فأثقل أعناقَهم قيدُهُ ولم يكُ مِن دونه مُعتصم
فلاهم على حَلِّه قادرون ولا هو أنصف فيما حكم

[المشهد الثالث]

كليب لِعبديه :

أيا سعد أطْلِقْ عقالَ الإفالِ
ويا عوفُ أطْلِقْ سراحَ البَهَمْ

سعد : أمر مولاى مطاعْ ليس لى منه امتناعْ
من عصى أمرَ كليبٍ بات مقطوع الذراعْ
من عصى أمر كليب بات قوتاً للسباعْ

يذهب عوف وقبل أن يغار سعدٌ المكان يرى كليبٌ بين إبلهِ ناقة غريبة فيخاطب سعداً مشيراً إليها :

كليب : لمن الناقةُ يا سعد رعَتْ بين نياقى
من تُرى أرسلها ؟ الويلُ له مُرّ المذاقِ

سعد : هذه « سرابْ » ناقة « البسوسْ »
جارها جسّاسْ قابض النفوس
فهى فى حماهْ دُرّةُ العروس

كليب : إرمِ يا سـعدُ بسهمٍ ضِرعَها
إرمِها جساس لن يمنعَها

جليلة بانفعالٍ ظاهر :

بربك يا كليبُ دع البسوسا وناقتَها ولا تُثِرْ النفوسا
فإن أخى ابنَ عمك ليس يدرى رَعَتْ غضًّا[1] «سرابٌ» أم يبيسا
ولا يدرى أفى مرعاهُ باتتْ أم اتَّبعتْ إلى مرعاكَ عيسا[2]
فما فى الأمر ما يدعو لشرٍّ يُثيرُ الحربَ بينكما ضروسا

كليب : أجساسٌ يُجير بعير إذنى ؟ جليلةُ : إنه أمرٌ جليلُ
فلا والله لا أنفكُّ حتى يُحطِّمَ رأسَه السيفُ الصقيلُ

جليلة : أخى الجسَّاسُ ، حسبُك يا كليبُ
وخالتِىَ البسوسُ

كليب : فما أبالى :
سأوردُهُ المنيةَ يصطليها ليعرف كيف بادرةُ الرجالِ

سعد : أأرمى ضرعها مولاى؟ مُرنى فإنى مستعدٌّ للنزالِ

جليلة : إتَّئِدْ يا سعدُ

كليب : إفعَلْ

---

(١) الغض : الطرى (٢) العيس : الإبل

جليلة باكية : إنْتَظِرْ

سيدى أرجوك :

كليب : لا يُجدى الرّجاءْ

ليس يَثنينِي عن العزم الرّجا ليس يَثنينِي عن العزم البُكاء

جليلة وقد رمى سعدٌ الناقة :

قد رماها سعدُ شُلَّت يدُه ربِّ قدِّرتَ فلُطفاً بالقضاء

يا لها من رميةٍ مشئومةٍ تورثُ الحقدَ وتودى بالولاءْ

وتُجافى بين فَرْعَىْ وائلٍ أبد الدهر وتأتى بالشقاء

قد تعجَّلتَ كليبُ

كليب : ليس فى عملى إلا الذى يَقضى الإباء

جليلة لنفسها :

ماتُرى الجسّاسَ فى ذا صانعا ؟

كليب : إنَّ ذا الجساس رأسُ الجبناء

جليلة : أتُرى همام يبقى هادئاً ؟ فيرى ما يرتئيه العقلاء ؟

كليب : ليس فى أهلكِ من يغشى الوغى

ليس فى أهلك من يهوى اللقاء

إنما أهلوك فى الناس قذًى

إنَّهم بعض عبيدى والإماء

قد رماها « سعدُ » شُلَّتْ يده ربِّ قدَّرتَ فلطفاً بالقضاء

obeikandl.com

جليلة : إنما أنت وهم من نبعةٍ
كرُمَتْ أصلاً وفرعاً ونَماءْ
ليس فيكم غيرُ حرٍّ ماجدِ
يُكرمُ الضيفَ ويحمى النُّزلاء
هَبْ «سراباً» جاءت المرعى فهل
يُطرَد الراعى بمرعى الكرماء ؟
أو أتت من حوضِكَ الماءَ فهل
يُمنع الظمآنُ من ماء السمآء ؟
إخوتى ما ذنبكم يا إخوتى ؟
فتنةٌ لا يُرتجى منها نَجاء !

« المنظر الثانى »

[المشهد الأول]

مُرَّة وأولاده ، عمرو بن الحارث ، الحارث بن عُباد
فى خيمة جساس

« يدخل مسعود خادم جساس وعلى وجهه أمارات التأثر » .

مسعود لجساس :
مولاى جارتكم فى الحى هائمةٌ تبكى « سراباً » لبلواها وتنتحبُ

أصاب دِرَّتَها « سعدٌ » بِأَسْهُمِهِ
فكان مِمّا دهاها منظرٌ عجبُ
لما رآها « كليبٌ » فى منازلهِ
قد خالطتْ إبلَه والشمس تحتجبُ
أومى لسعدٍ بأن يودى بدِرَّتها
فكان ما قال فاستشرى[1] بها العطب

فأقبلت وهى تشكو ما ألمَّ بها[2] :

جساس : لِلّه من فتنةٍ تبدو وتقتربُ !
مُرَّة : أُدعُ البسوسَ إذن حتى نُهدِّئَها
جساس : أدعُ البسوسَ ، كليبٌ بئسَ ما فعلا
وأملأُ لها ضعفَ ما تُعطيه من لبنٍ
فى كل يومٍ فشرُّ الناس مَنْ بخلا
الشرُّ بالشرِّ يُجزى كلَّ آونةٍ
مُرَّة : والخيرُ بالخير والحُسنى لمن عَقَلا

---

(١) استشرى : تفاقم وعظم
(٢) ألم بها : نزل بها

[المشهد الثانى]

« تظهر البسوس صائحةً نائحة أمام خيمة جساس » :

البسوس :

يا لَلذِّلَّةِ ! يا للعار ! قَد رُمِيت ... بِضَرعها ناقتي من غير ما سببِ
جنى عليها كليبٌ وهى رائحةٌ ... فى إبْلِه بعد وِرْدِ الماء والعُشُبِ
عَقَلْتُها مذ مساء الأمسِ فانْفلتَتْ ... من العقالِ غداة اليوم للهرب
وأبصرتْ إبلاً لم تدرِ صاحبَها ... فخالطتْها ولم تسأل عن النَّسب !
يا لهف نفسىَ قد عادت مُضرَّجةً ... تَمدُّ مما دهاها الصوتَ بالحرَبِ (١)
تَئنُّ أنَّةَ موجوعٍ ألمَّ به ... سهمُ القريبِ فأصْماهُ ولم يخب
نزلتُ فى حيِّكم يا ذلَّ جارتكم ... أصابها الضيمُ فى عرضٍ وفى نَشبِ (٢)

جساس :

يا خالتى أقصرى فالبغىُ مرتعُهُ
منذ القديم ، وخيمٌ حيثما كانا
إن هُنتِ هُنّا ، فما هذا البكاء ؟ فقد
أثرتِ فى النفس أشجاناً وأحزانا
سيقطع السيف من أوتاره وَتَراً

---

(١) الحرب : الهلاك (٢) النشب : المال .

البسوس : لا . لا ، فدَعْ عنك هذا الخاطر الآنا

جساس : والرمح يخرج من أضلاعه

مُرَّة ينتهره : فإذَن

جاوزتَ حدَّك ياجساس عُدوانا

جساس للبسوس : فهذه إبلى

البسوس : لا أبتغى إبلاً

جزاك ربُّك ياجساس إحسانا

« تخرج البسوس و يستمر الباقون فى الحديث »

همَّام : بغى كليبُ وإن البغىَ مهلكةٌ

فى كل حين يجرُّ الويلَ والحرَبا

أغرَّهُ التاج حتى بات من صلفٍ

يؤذى القريبَ و يؤذى من له انتسبا

آخر من أبناء مرة :

حمى المراعى كليبٌ عن ركائبنا

ولم يدع مورداً للماء نغشاهُ

الله أعطاه مُلكاً لا مثيلَ له

فلم يكن شاكراً ما الله أعطاه

آخر : أيظلمُنا كليبٌ كلَّ يوم ونحن نُقِرُّ ما يُجريه فينا
يُجير نزيلَه من كل ضيمٍ ويلقى جارُنا الذُّلَّ المُهينا
وإن هَمَت السماءُ بأىِّ أرضٍ رعاها دوننا ظُلماً مبينا
إذن فالموتُ خيرٌ من حياةٍ نُسامُ بها المذلَّةَ صاغرينا

آخر : أمِن حَقِّ ابنِ تغلبَ أن يُطاعا ومن شأنِ ابن بكرٍ أن يُضاعا
يُجير الوحشَ فى الفلواتِ حتى لَنَجبُنُ أن نَهيجَ له سباعا
ويربطُ جِروَهُ فى الرِّعْىِ كِبراً فنخشى أن ننازعَه ذراعا

آخر : ونخشى إذا نارُه أُوقِدَتْ بأن نوقِدَ النار ، يالَلْعجَبْ
وإن ضَمَّنا مجلسٌ عنده فإمَّا احتبَيْنا فسوءُ الأدب !
فلا قيصرُ الروم فى كِبره ولا فعلُه من طباع العرب .

جساس :

حتى ولا لا كسرى سمعنا أنه يؤذى القريبَ ويظلمُ المسكينا
فدعْ الُحسامَ يَقُدُّ من أضلاعه ليزيلَ داءً فى الضلوع دفينا

مُرَّة : أبنىَّ قد أكثرتمو — فكنا كموا — قالاً وقيلا
إنَّ ابنَ عمِّكمُ كليباً لا ترَونَ له عديلا
فلَكَمْ حمى منا الحمى ؟ ولكَمْ أجار لنا نزيلا ؟
أعداؤه وقبيلُه عرفوا له القدرَ النبيلا

لولاه بتْنا نشتكى من «مَذْحِجَ» الذلَّ الوبيلا
هذى القبائلُ من مَعَدٍّ لا تَعُدُّ له مثيلا
تَروى مناقبَهُ وتحفظ فى القلوب له الجميلا
قد توَّجَتْهُ وأَسْلمتْهُ قيادَها جيلاً فجيلا
لا تعجلوا وتريَّثوا فالخطبُ يوشكُ أن يزولا
فإذا سرابٌ أُدمِيَتْ هل نملأُ الدنيا عويلا ؟
تلك النياقُ دعوا البسوسَ تقودُ أكرمها فصيلا
ما شأنُ نابٍ[1] ؟ تورثُ الأحقادَ والرُّزءَ الجليلا
فدعوا الشقاقَ فإنه يَشفِى من الخصم الغليلا
ويَقُضُّ مضجعَ أُختِكم وترى به الهمَّ الطويلا

الحارث بن عُباد :

هذا هو الرأىُ السَّديدُ فلا تحيدوا عن سَدادهْ
جلَّى لكم سُبُلَ الرشاد فلا تضلوا عن رشاده
فالنفسُ تجمحُ بالهوى والعقل يكبح من عناده
والمرء يُهلكه المُرادُ إذا تمادى فى مُراده
لا تتركوا الأهواءَ تورى الشرَّ من واهى زِناده

---

(١) الناب : الناقة المسنة

« إشارات استحسان من أبناء مُرَّة عدا جساس » :

همام : نعمَ ما قلتَ أبى ونعمَ قولُ ابنِ عُبادْ
كلُّنا طَوعٌ لما أبديتَ مِن رَأْيِ السَّداد(١)

« يُغادر الحاضرون المكان ويبقى جساس فى خيمتهِ وحده » .

[المشهد الثالث]

جساس لنفسه : « والبسوس متوارية خلف الخيمة » .

مُصابٌ عظيمٌ وخَطْبٌ جَلَلْ وأمرٌ يَحارُ بِهِ مَنْ عَقَلْ
فماذا يُرادَ بظلم البسوس ؟ سوى ذُلِّ من فى جِوارى نَزَلْ
كليبٌ ، كليبٌ ألا تنتهى لقد ضِقتُ ذَرْعاً ، فماذا العملْ؟
لئن كنتُ أغضيتُ فيما مضى وقاتُ ابنُ عمّى وصِهرٌ أجلّ
فما للبسوس ؟ وما ذَنْبُها ؟ بناب البسوس سيُردى الجملْ

[المشهد الرابع]

« تظهر البسوس فيراها مسعود جساس »

مسعود لجسّاس : مولاى قد أتت البسوسُ

جساس : فمرحباً فَلْتَدْخُلِ

كَرْبُ البسوس وهمُّها

عمَّا قريبٍ يَنْجَلى

---

(١) السداد : الصواب

البسوس :

جساسُ يا ليثَ الوغى لا أرتجى ... إلاَّ رضاكَ وأن تكونَ عِمادى

من غيرُكَ المرجُوُّ فى هذا الحِمى؟ ... ليَرُدَّ كيدَ الظالم المتمادى

حَمَلَ الزَّمانُ علىَّ حملةَ غادرٍ ... فتركتُ قومى إذا عدمتُ رُشادى

ونزلتُ فى بكرٍ فكنتَ مُكرِّمى ... وتُجيرُنى من ظالمٍ أو عادِ

يا لهف نفسى كيف أَوْدَتْ ناقتى ... فأُزيلَ عَنِّى طارفى وتِلادى

وأُهِنتُ بعد مَعزَّةٍ وغدوتُ فى ... ذُلِّ الأسيرِ أليفةَ السُهَّاد

لم أجْتَرِحْ ذنباً فماذا يبتغى ... منى كليبٌ غيرَ بَغْيِ بادِ

(تظهر على وجه جساس علائم الانفعال الشديد)

جساس لخادمه : مسعودُ

مسعود : مولاىَ

جساس : هلاَّ تدعو لىَ الآن عَمْرا

مسعود وهو ذاهب :

الأمرُ يامولاى أمرُك ... أنت المرَجَّى طال عمرُك

جساس لنفسه مستمراً :

فانه خيرُ خِلٍّ ... أبثُّهُ اليومَ سِرَّا

أبى يروم التّغاضى ... وكِدتُ أنشقُّ صدرا

وإخوتى قد تناهَوْا ... عن الحفيظة جَهْرا

وهل لمثلى اصطبارٌ ؟ والكيدُ يزدادُ شرّا
وكيفَ أُدلى لقومى ؟ على المهانةِ عُذرا
أو كيفَ أُنمى لبكرٍ ؟ فأملأَ البيدَ فخرا
إن لم أُثِرها ضروساً حمراءَ تقذِفُ جمرا
تطيحُ رأسَ كليبٍ وتقهرُ البغْىَ قهرا

للبسوس :

وأنتِ يا خالتى قومى مُباركةً إلى خِبائكِ لا تَلْوى على أحَدِ
وخَفِّفى عنكِ هذا الحزنَ واتّئِدى فاللهُ للظّالمِ المغرورِ بالرَّصَدِ

(تخرج البسوس وتختفى وراء الخيمة)

[المشهد الخامس]

« يرجع مسعود »

مسعود لجساس : عمرٌو أتى

جساس : يا مرحباً . أُدخلْ فُديتَ مُكرّماً

عمرو :

حياكَ ربُّكَ يا جساس حيّاكا وأنزلَ الشرَّ فى أنحاءِ أعدا كا

مستمراً لجساس : ماذا عساهُ بدا ؟

جساس : إجْلِسْ لقد نَشِبَتْ

مخالبُ الشرِّ بالأحشاء تُدميها

عَلِمْتَ ما كانَ مِنْ أمرِ البسوسِ وما
أصابَ ناقتَها من كيدِ راميها
وما رآه أبى بالأمسِ عَنْ كرمٍ
لِيزْجُرَ النَّاسَ عن شَرٍّ ويَثنيها
ماذا ترى ؟ أأصُدُّ النفسَ ظامِئَةً
أم أُغمدُ السيفَ فى خصمى فأرويها
قد مزَّق الغيظُ أحشائى وبِتُّ على
رمضاءَ تلذعُ أضلاعى وتكْويها

عمرو :

ما أنت وحدَكَ مَطْوِى على حَنَقٍ
فالنارُ تحت رَماد الكيدِ نُخفيها
طغى علينا كليبٌ ، فهو يَظلمنا
قبل البسوس وقبل النّاب يَرميها
فالتاجُ أعماهُ عن رفقٍ وعن كرمٍ
فباتَ يحتقرُ الدنيا ومَنْ فيها
ولم يَعُدْ يحفظُ القُربى وحُرمتَها
طَيْشاً وجرَّ علَينا ذيلَهُ تِيها

فلَيْس عنـدى دواءٌ غيرُ نافِذةٍ
بالرُّمحِ تخرِقُ أحشـاهُ وتَفريها

جساس : لولا جليلةُ

عمرو : دَع ما أنت ذاكِرُهُ
واترُكْ جليلةَ عينُ اللهِ تَحْميها

فَمَنْ لهـا مثلُ جساسٍ وإخْوَتِهِ ما ضرَّ لو رجَعتْ فى عُشِّ راعيها

جساس :

يا وَيْحَ قلبى لقد أضحتْ مُعذَّبةً تقضى الليالىَ فى همٍّ وتَطْويها

أنْحى عَليها كُليبٌ بالملامِ وكَمْ قَدْ سامها الهَوْنَ بالكاساتِ يَسقيها

عمرو :

علمتُ هذا وعندى مِنْ حوادثِهِ ما يوقِرُ النَّفْسَ أحقاداً ويُؤْذيها

هلمَّ نُرْديهِ فالأحيـاءُ قد رَحلوا فى نُجعَةٍ أخصَبَتْ مِنها مَراعيها

وقد علمتُ «كُليباً» راحَ مُقْتَفِياً آثارَهم يَنتحى إحدى نواحيها

هنـاكَ نطعنُه نجلاءَ قاصِمةً تودى به فيُغيثُ النفسَ ظاميها

[المشهد السادس]

يدخل مسعود : مولاى عادَ الرُّعاةُ

جساس : ما تنتهى الحادِثاتُ

يدخل الرعاة : عِمْتُما مساءً وحزتما علاءً

أحد الرعاة لجساس : نزلنا وأهلَك عند « الأحَصِّ[1] »

فأبْعَدَنا عَنْه مَنْ يَعْتدى

وجئنا « شُبَيْثاً[2] » فلم نَبْتَرِدْ بقَطْرٍ من الماءِ أوْ نورِدِ

فكِدْنا وكادتْ نياقُ القبيلةِ تقضى على ظمإٍ مُجْهِدِ

كليبٌ دهانا بظلمٍ عجيب فأُبْنا إلى المَوْطنِ الأَجْرَدِ

جساس : فصبراً فصبراً رُعاةَ الكرامِ

فما أحسن الصَّبْرَ لِلْمُوجَدِ[3]

سأوردُه وِرْدَه وَحْدَهُ

وأجلوهُ عن وِردنا المُسعدِ

فسيروا لِمُرَّة واحكوا له

فقد يُكشَفُ الأمرُ قَبْلَ الغَدِ

« الرعاة معاً وهم خارجون » :

جسّاسُ أنت المرتجى جساسُ أنت الفارسُ

الإبلُ يقتُلها الظما والماء عنّا حابسُ

---

(١) الأحص : موضع ماء فى نجد . (٢) شبيث : موضع ماء أيضاً .
(٣) الموجد : المكره . من أوجده على الأمر : إذا أكرهه .

جساس لعمرو : إذا لم تَضَعْ للشرِّ حدَّاً فإنه
تُصيب شباةُ[1] الشرِّ غيرَ «سَراب»

رأيتُ كليباً ليسَ يُصغى لناصحٍ
ولا يُسعدُ القُربى بحُسنِ خطاب

فهيّا بنا يا عمرو نمضِ لأمرنا
فَنُنْفِذَ مِنْ حِضْنَيْهِ[2] نصلَ حِرابِ

« ستار »

(١) شباة كل شيء : حده . (٢) حضنيه : جانبيه .

obeikandl.com

كليب ليس من ليث وذئب ولا رقطاء خلف الخدر تسرى
فأنت على فراشك مستقر وقاك الله من شر وضر

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

« المنظر الثالث »

[المشهد الأول]

فى خيمة كليب

« كليب يهب من نومه مذعوراً ، ذاهلا يلتفت يمنة ويسرة مشيراً بيده إلى جهات مختلفة من الخيمة » :

كليب : جليلةُ ما هذا ؟ هُنا اللَّيثُ رابِضٌ
هُنا الذئبُ والرَّقطاءُ خلفَ المضاربِ
لقد تبعونى ، إنْأَ يا لَيْثُ ، إبْتَعِدْ
فليسَ دمى يا ذئبُ ، عذبَ المشاربِ
وأنتِ أيا رقطاءُ سُــمُّكِ ناقعٌ
فَهَيِّ اذهبى عنى لِشَرِّ المذاهبِ
فأينَ يدى ؟ أم أينَ خمسُ أناملى ؟
وأين تُرى لحمى وعظمُ التَّرائبِ ؟
لقد نهشوهُ ، مزَّقوهُ ، فليسَ لى
يدٌ ، بل ولا صَدْرٌ فسيحُ المراحبِ

جليلة لنفسها : ويلاه ماذا أصابَهْ ؟ مَسٌّ من الجنِّ نابَهْ ؟

واضعة يدها على كتفه :

كليبٌ ليس من لَيْثٍ وذئبٍ ولا رقطاءَ خَلْفَ الخِدْرِ تَسْرى

فأنتَ على فراشكَ مُستقِرٌّ وقاكَ اللهُ مِنْ شَرٍّ وضُرِّ

كليب ونظره متجه نحو سقف الخيمة :

هل الليلُ لا ينفكُّ أسودَ حالِكاً

فقومى انظرى هل فى السَّما مِنْ كواكبِ

جليلة : فديتك إن البدرَ تمٌّ وهـذِه

ثريّاهُ ترمينا بلحظِ المُداعبِ

كليب : جليلةُ هاتى الماءَ ، إنى لظامئٌ

جليلة : لك الأمرُ ، هذا الماءُ يا خيرَ شارب

هنيئاً مريئاً والأذيَّةُ للعِدا

ودمتَ لنا تجلو ظلامَ الغياهبِ

فَهَلْ طبْتَ نفساً بعد شُربٍ وراحةٍ ؟

كليب : لقد هدأَتْ نَفْسى وزالَتْ مَتاعبى

ما خفتُ طيلةَ عمرى فى يقظةٍ أو منامِ

ولم تَرُعنى ذئابٌ ولا ليوثٌ دوامِ

ولا أفاعٍ عظامٌ تسعى لفتِّ العظامِ
كما فَزِعتُ بليلى هـذا وزاد سَقامى

جليلة : كأنك قد رأيت إذَنْ مناماً ؟

فخيراً ما رأيتَ ؟

كليب : رأيتُ شرّا

كليب مستمرا :

رأيتُ كأنى فى ديارٍ غريبةٍ
بعيداً عن الأحبابِ أشكو التنائيا
بقَفْرٍ تضِلُّ العينُ فيهِ ولا تَرى
بأنحائِهِ إلاَّ السِّباعَ الضواريا
يكِرُّ علىَّ الليثُ كرَّةَ فاتكٍ
ويتبعُه ذئبٌ يرومُ حياتِيا
وأفْعَى على قربٍ تُجرِّرُ ذيلَها
وتَنفُثُ سُمًّا قاتِلاً مِنْ وَرائِيا
فلم أرَ لَيْثاً قبلَ ذلك زائراً
كهذا ، ولا ذئباً كذلك عاوِيا
ولا حيَّةً تسعى كَتِلْكَ خبيثةً
تَفِحُّ فحيحاً يُرْسِلُ الرعبَ داوِيا

فما كنتُ أدرى أىَّ خطبٍ أذودُه
وما عدتُ أدرى قِبلتى من شِمـاليا
وعاجلنى الليثُ الهصورُ بِوَثْبَةٍ
فخلتُ بأنَّ المَوتَ ينقضُّ عادِيا
فأعمـلَ فِىَّ الظُّفرَ والنابَ فاغراً
فمًّا ، خِلتُنى مِنْهُ إلى القبرِ جارِيا
فيا هولَ عَينيهِ وقد شـعَّ منهما
بريقٌ برى جسمى وراعَ فؤاديا
وشدَّ علىَّ الذئبُ شـدةَ غادرٍ
فهشَّم أضلاعى وأجرى دمائيا
وكنتُ أراه وهو يلعقُ مِنْ دَمى
وينهشُ من لحمى ويُردى عِظاميا
وخِلْتُ على ما كنتُ فيه مِنَ الظَّما
كأنى لم أشربْ مدى العمرِ راوِيا
وأنِّىَ لو أُسْـقى الفُراتَ ودَجلةً
على هولِ ما لاقيتُ ، لم يُشفَ مابيا
وأدركنى ليلٌ كأنَّ سوادَه
أغارَ فأجـلى عن سمـاهُ الدراريا

أدورُ بعينى فيــه لم ألقَ مُسعِفاً
ولا باكياً يبــكى ولا راثياً ليـا
وما هو إلا أن رأيتكِ صاحياً
جليلةُ فى قربى تُدارينَ حاليا

جليلة : حُلمٌ عجيب أراه مؤوَّلاً بالسَّلامِ
فلا تُطِلْ فيه فِكْراً فذاك شانُ المنـامِ
كم مَثَّلَ النَّوْمُ ليلاً عجـائباً للأنامِ
يطيرُ هذا كَطَيرٍ فوق الذُّرى والغَمامِ
وذاك يهوى لِقاعٍ بين الرُّؤى والهوامِ
والبعض يركض ذُعراً من طاردٍ ذى انتقامِ
وآخرونَ تلاقَوْا من بعد طول انصِرامِ
فأشبعوا النفسَ لهواً بذكرياتِ الغرامِ
فالحلم كان مُخيفاً أم مُشعِراً بسلامِ
لم يبدُ إلا خليطاً مِنْ فِعْلِ خَلْطِ الطَّعامِ

كليب : جليلةُ إنَّ حُلْمِىَ ليس إلا كوارثُ سوف يُحدِثُها الزمانُ
فما خَلْطُ الطعامِ يُريكَ شرًّا ولـكن ما يُحدِّثُه الجنانُ

جليلة : سمعتُ بأنَّ عَرَّافاً له فى الحىِّ أصحابُ

نزيلٌ عند جيرتِنا لطيفُ الحِسِّ ، حَسَّابُ
فلو سعدٌ يجىءُ بهِ فما العرَّافُ كذّابُ
وهذا الصبحُ وافانا فلا حرَجٌ ولا عابُ

[المشهد الثانى]

كليب : يا سعدُ

سعد : لَبَّيْكَ

كليب : إذْهَبْ ، وأحْضِرِ العرَّافا
أين الخليلُ الموافى إذا الزَّمان تجافى

(يذهب سعد ويأخذ كليب بارتداء ملابسه متهيئاً لمقابلة العراف)

جليلة مُطلة من الخيمة :
أتى سعدٌ أتى سعدُ وذا العرَّافُ مِن بَعْدُ

سعد : أتى العرَّافُ يامولاى طوعا

كليب : فأدْخِلْهُ لقد أحسنتَ صُنْعا

يدخل العراف :
عِمتَ مولاىَ صباحاً حُزْتِ مولاتى فَلاحا

كليب :
إجلسْ وهاتِ لنا ما أنت تحسُبُهُ من الحساب بقلبٍ نيِّرٍ صافِ
أرِقتُ لَيْلِيَ من دهياءَ داهمةٍ رأيتُها فى منامى ذاتِ أوصافِ

العراف : ما ذا رأيتَ ؟

كليب :

رأيتُ الليثَ يفتِكُ بى
والذئبَ ينهشُ من جِسمى وأطْرافى
وحيَّةً ثُمَّ ليـلاً حالـكاً طُمِسَتْ
فيهِ الـكواكبُ، حتى نورُها خافِ
فى قَفْرَةٍ ، صادياً ، لا الماءُ أبلغُهُ
ولا خليـلٌ يُواسى كَرْبتى وافِ
عرَّافُ هاتِ الذى تجلو الغيوبَ بهِ
كم كنتُ أسخرُ من أقوالِ عرَّافِ

(العراف يخطط بالرمل ويتفرس فى وجه كليب مرة . وفى وجه جليلة مرة أخرى)

أليثُ والذئبُ والرَّقطاءُ كلهمُ أعداءُ قد نصبوا للمَلْكِ أشراكا
فالليثُ مُندفِعٌ والذئبُ متَّبِـعٌ وتلك تومى بمسراها لِمسْراكا
فاحذَرْ فُديتَ إذ الأحياءُ ظاعنةٌ أن تبرحَ الحىَّ أوتُزجى مطاياكا
وما ظمئتَ لأنَّ المـاءَ منقطعٌ لـكنَّهُ ظمأٌ مِنْ كَيدِ أعداكا
حاكوا لك الشرَّ لم يَعلمْ بِهِ أحدٌ يبغونَ سلبَك ما مولاك أعطاكا

كليب : فمن أولئك ؟

العرّاف : لا أدرى ، فديتَ ومَنْ

أنباكَ بالغيب ما بالصِّدْقِ أَنْبا كا

علائمٌ بَدَرَتْ فى الرَّملِ غامضةٌ وأنتَ أدرى بمن والىٰ وعداكا

كليب ملتفتاً إلى جليلة :

أفتلك مَذْحِجُ تبتغى ثاراتِها ؟

جليلة : هذا لَعَمْرى أصدقُ التأويلِ

العراف :

وَلرَبَّما من غير « مَذْحِجَ » عُصْبَةٌ حَسدَتْهُ فهى كثيرةُ الإرجافِ

حدَثُ الزَّمانِ وما يجىء به غدٌ سرٌّ أراهُ عن البريَّةِ خافِ

فالزَمْ حماكَ ولا تُفارِقْ ظِلَّهُ ما فى حماكَ سِوى المحبِّ الوافى

كليب بغضب :

إذهَبْ لشأنكَ أيُّها العرّافُ

أنا لَسْتُ مِنْ حَدَثِ الزَّمانِ أخافُ

إن « مَذحِجٌ » تبغى الأذى فَمُهَنَّدى

عَضبٌ ومُهرى فى الوغى عَطّافُ

أوغيرُ « مَذْحِجَ » إننى كُفُؤٌ لها

وعظيمُ جيشى للرَّدى زحّافُ

وسِـــنانُ رُمحى لا يزالُ مُحدّداً
تُردَى به الأحشـــــاءُ والأعطافُ

أيروعُنى حُلْمٌ ودونَ مَقاتِلى
عزمٌ كبارِقةِ القضـا خطّافُ

أم كيف ألتَزِمُ الحمى وأنا الذى
تُحمى به الأكنافُ والأطرافُ

فإذنْ ربيعةُ لم يكنْ لى والداً
وإذنْ كليبٌ وارثٌ مِتلافُ

أنا مَنْ حَشَدْتُ الخيلَ تقتحمُ الرَّدى
يومَ « الخزازِ » صهيلُها رَجّافُ

بفوارسٍ تَزِنُ الجبـــالَ حُلومُها
وإذا دعى الداعى ، نَزالِ خِفافُ

تشتدُّ فى طلبِ العدوِّ كأنّهـا
الآسادُ تأبى هَوْنَها وتعـــــافُ

فتركتُ مذحجَ تلتظى أكبادُها
أبد الزّمان فدمعُها مِذْرافُ

ومنعتُ أرضىَ أن يَحُلَّ بها العـدا

أو أن يكونَ لهم هناكَ مَطافُ

فلبستُ تاجَ المُلْكِ غيرَ مُدافَعٍ

وملوكُ « حِمْيَرَ » خائرونَ ضِعافُ

(يخرج العراف وهو يرتعد من شدة الخوف)

كليب لسعد : يا سعدُ :

سعد : لبَّيكَ

كليب : شِدُّوا رِكَابنا لِلرَّحِيل

لِنُجْعةٍ نجتليهـا مِنْ بَعدِ جَدْبٍ طويلِ

فقـد هَمَتْ بغزيرٍ مِنْ فضلِ رَبٍّ مُنيلِ

فَلنَغْدُ حيثُ أصابَتْ خيراً لخيرٍ جزيلِ

جليلة :

لا وربى يا كليبُ ليسَ تغدو ذا الصَّباحا

إن قلبى فى اضطرابٍ مُذ بدا الفجرُ ولاحا

ما أرى النُّجعَةَ هذى نُجعةً تُجدى فلاحا

قد غَدَتْ قبلَكَ بَكْرٌ تَرِدُ المـاءَ المُباحا

فاتركِ الوِردَ إليهـا وحِمى المرعى سَماحا

ليب :

كيفَ يغدون وإبلى غادياتٌ رائحاتْ
ولى الوِرد وحَقُّ الرّعْى فى كلِّ الجهاتْ
ما أرى أهلَكَ إلاَّ أمعنوا فى السيئاتْ
سوفَ أجلوهُم عن الماءِ بحدِّ المُرهَفاتْ

« ستار »

obeikanal.com

obeikandl.com

الفصل الثاني

« المنظر الأول »

[المشهد الأول]

[كليب وحده على غدير الذنائب . البسوس متوارية بحيث تراه ولا يراها . يظهر جساس (وعمرو) بن الحارث مقبلين نحوه . يقترب جساس منه ويبقى عمرو مبتعداً بعض البعد]

جساس لكليب :

أ كليبُ قد أثقلت بكراً بالأذى وأهنتَهـــا
جاءت « شُبَيثاً » تَستقي فلحقتهـــا ومنعتَها
وعن « الأحَصِّ » وعن ثرى « بطن الجريب[1] » دفعتَها
حتى إذا أتت «الذنائب[2]» بعـــد ذاك تبعتَها
كادت تموتُ من الظما أفأنت تبغى موتَهـــا

كليب :

جساسُ تلك مواردى فَعَـلامَ تبغى وردها
« بكرٌ » تمادَتْ بالإساءةِ لستُ أدرى قَصـدَها
لولا الأواصرُ بيننا لَهَـدَمْتُ منها مجدَها
وأرَيْـتُها عُقْبى الغُرورِ وكيفَ تلزمُ حَـدّها

---

(١) الجريب : واد عظيم تجيء أعاليه من قبل اليمن
(٢) الذنائب : موضع بنجد فيه غديرها .

جساس :

قلتَ الأواصرُ يا كليبُ أأنتَ ترعى الآصِره
لو كان ذاك لكنتَ داويتَ القلوبَ النافِره
وبعثتَ فى أبناءِ عمِّك ما يُهدِّى الثائره
ولَسُسْتَ قومَك بالهُدى لا بالفَعال الجائره
ولما حميتَ لترتوى ماءَ السماء الماطره
ولما عدرتَ على البسوس بكفِّ بغىٍ خاسره

كليب : أذكرتها جساسُ :

جساس ويطعنه :

لا أنسى فخذها فاقِره[1]
نجلاءَ توردُك الردى فهى المنية حاضره

كليب مجرداً سيفه وهاجما على جساس ودمه يسيل :

جساسُ وَيْكَ قَتَلْتَنى تبًّتْ يمينٌ غادره
جساسُ ويلك طاح رأسُكَ

جساس هارباً : أين منك البادره ؟

مُت يا كليب

عمرو مدافعاً : كليبُ مُتْ خذها إذن بالخاصره

---

(١) الفاقرة : الداهية التى تكسر الفقار

جساس ويك قتلتنى تبت يمين غادره

obeikandl.com

كليب وقد خر صريعا يتخبط بدمه :

يا عمرو بغيٌ ما فعلتَ

عمرو : لكل بغيٍ آخره

كم ذا صنعتَ بنا الأذى ؟ دارتْ عليك الدائره

البسوس متوارية :

عقر الفصيلَ وناقتى واليوم لاق عاقِرَه

كليب :

تلك البسوسُ وشؤمُها تبًّا لها من ماكره

أوّاهُ من كيدِ البسوسِ ومن جِراحى الغائره

ثم يلتفت إلى جساس وعمرو :

ياطعنةً بالحشا من كفِّ جسّاسِ

غدراً وثنّى بأخرى ظالمٌ قاسِ

عمرٌو وبئس الفتى عمرٌو إذا ذُكرتْ

محامدٌ لكرامٍ غيرِ أنكاس

قد أوْدَيا بدمى فانهلَّ منهمراً

عند « الذنائب » تجرى فيه أنفاسى

لو كُنْتُ أحسبُ حقداً فى قلوبكما

يرمى إلى مَصْرَعى من بعد إيناسى

لـكنت أعملتُ سيفى وهو ذو خطرٍ
فذقتُما المُرَّ من فتـكى ومن باسى
جساسُ ياغادراً « بالنَّاب[1] » تقتلنى
فلو ذكرتَ غداة القتـل أغراسى
رفعتُ من شأنـكم فى كلّ بادرةٍ
وكنتُ خيراً لـكم من سائر النـاس
أذودُ عنـكم فلا تُغشى منازلُـكم
يوماً بسوءٍ ولا تُلقى لِحُرّاس
حسدتمونى على تاجى فذاكَ لـكم
من بعد راسى إذا لم يُفْنِكُمْ راسى

جساس :

كفاكَ الذى ما أنتَ فيـه فلا تُدِرْ
خطاباً وما يُجديكَ شتمُ قريبِ ؟
ودع عنك ذكرَ التاج والمُلكِ جانباً
فلستَ إلى داعيهما بمُجيب
تلقَّ حضورَ الموت فى النَّزْع رابطاً
كما كنتَ يوم الرَّوع غير هيوب

(١) الناب : الناقة المسنة .

كليب وقد آلمته الجراح وشعر بشدة الظمأ :

ألا يابنَ عمى هل تُغيثُ بشُربةٍ ... من الماء تطفى حرقتى ولهيبى
أُحِسُّ دبيبَ الموت يسرى بأضلعى ... وأظلمتِ الدنيا فأين طبيبى ؟
وأشعرُ فى رأسى دُوراً كأنه ... مدارُ رحًى دوَّتْ بكل عجيب

جساس :

أما عن « شُبَيْثٍ » و « الأحصِّ » منعتنا
وأقصيتنا عن ماءِ « بطنِ جريبِ »
فذُقْ من عذاب الموتِ ما أنت ذائقٌ
فهيهات ! ما ماءٌ لنا بقريبِ

كليب :

إذن يابن عمى أعْلِنْ الحىَّ مَصْرَعى ... ولا تتركنْ لحمى لِنَهمةِ ذيبِ
وأبلغ أباك السمحَ عنى تحيَّةً ... ولستَ إذا خالفتنى بمُصيبِ
وإما غدت فى حىِّ شيبان بُكرةً ... جليلةُ فَلْتَنْزِلْ بكل رحيبِ
فَنِعمتْ حَصانُ الذيل ترثى حليلَها ... وتبكى عليه إثْرَ كل مغيبِ
جليلةُ أين الذئب والليث ؟ ها هما ... وتلك هى الرَّقطاء خلف كثيبِ
وهذى سماءٌ فارقَتْها نجومُها ... فكان فراقى فافزَعى[1] لنحيبِ

---

(١) فزع للشىء : تهيأله

أتعلمُ يا جساس ؟ أختُك حاملٌ فلا تؤذها يوماً بظلم ريبِ
فما هو إلا غَرْسَةٌ طاب أصلها ونبتةُ ريحانٍ ونفحة طيبِ
وإن ذكرتْ يوماً كليباً بصالحٍ فلا تأخذ الولهى بذكر حبيب
ودعْها تَزُرْ قبرى وتَسقِ تُرابَه لعلَّ رُفاتى ترتوى بذَنوب (١)
أجساسُ ليس الموتُ عاراً على الفتى إذا كان لم يدنَس بفعل معيب
ولكن هو اللؤم الذى أنت صانعٌ تُعابُ به فى حَضْرةٍ وغُيوب

ثم يلتفت إلى عمرو :

ياعمرو شربةَ ماءٍ أبُلُّ بالماء ريقى
فقد تعاظم كربى وزاد منه حريقى

عمرو :

لِسَقِهِ الماءَ ياجساسُ قد بَرَدَتْ
أطرافُه وغدا للموتِ مرهونا
فإن أُصِبْنا بِطعْنٍ مثلَ طعنتِهِ
يوماً ، نَجِدْ مُسْعِفاً يحنو فيُسقِينا
لقد أثار بقلبى هولُ مصرعِهِ
رُعْباً وأخشى الذى أرداه يُرْدِينا

(١) الذنوب : دلو الماء . الحظ ، النصيب

وَحَرَّكَتْ من فؤادى كلَّ ساكنةٍ
عيناهُ وهو مديرٌ لحظهُ فينا
أقوالُه فعَلَتْ فى النفس فِعلتَها
فلست أنسى لها الأيّامَ تَلْحِينا

جساس :

أراك جَبُنتَ ياعمرو ولم تكُ قبل ذا نَكسا[1]
فلا والله لا يُسقى بغيرِ مِزاجه كأسا
فهل ننسى مظالمَهُ وبكرٌ تشتكى هَمْسا
تحاذر شرَّ سطوته ويدعسُ قلبَها دعسا
لقد غَرَسَتْ يداه أذًى فَدَعْه يَقلع الغَرْسا

عمرو : أما نخشى من الأيام أن تجرى بنا نحسا
فتُرْدِينا على ظمأٍ ونشرى غرسَنا بخسا
سأسقيهِ ولو أحْدَثْتَ لى فى جنبه رمسا

يتقدم ليسقيه فيجده قد مات :

عمرو مستمراً :

فها هو مات لا تلقى له رِكزاً[2] ولا حِسًّا

---

(١) النكس : الرجل الضعيف
(٢) الركز : الصوت الخفى

هَلُمَّ هَلُمَّ ياجساسُ نُخفى معالمَ جسمهِ فى ذا المكانِ
ولا نُبقى له أثراً فيبدو لقائفه[٢] علىٰ مَرِّ الزمانِ
نواريهِ الترابَ فكلُّ حيٍّ وإنْ طال الزمانُ عليه، فانِ

جساس :

أراكَ ندمتَ واستولى عليك الحزنُ والرَّهَبُ
فهيَّا نَطْمِسُ الآثارَ لا تبدو وننقلبُ

(ستار)

---

(١) القائف : قاص الأثر

obeikandl.com

الفصل الثانى

« المنظر الثانى »

[المشهد الأول]

« فى منازل بنى بكر ، فى خيمة مرة ، مرة وابنته »

إبنته سعدى وهى مطلة من الخيمة :

أبتاه ذا الجساسُ أقبلَ فوقَ حِجْرٍ (١) كالظَّليمِ
جَمَحَتْ به فكأنَّهُ المطرودُ فى الليلِ البهيمِ
نُشِرتْ ذوائبُه وبانَتْ رُكبتا عَفٍّ كريمِ
ما شأنه ؟ ما خطبُهُ ؟ أنظر أبى نظرَ الحكيمِ

مرة وهو ينظر إليه :

تاللهِ ما الجساسُ تبدو ركبتاه لعينِ راءِ
إلا لخطبٍ مُدلهمٍّ جدَّ فى هذا المساءِ
ما أبصرتْهُ العينُ فى سِلمٍ يجولُ ولا لِقاءِ
يوماً تكشَّف لحمُهُ أوبانَ من تحت الرداءِ

---

(١) الحجر : أنثى الخيل

قومى إليهِ فقد دنا مِنّا وصارَ إلى الخِباءِ
فلْيأْتِ يا سُعدى فقلبى قد تحدَّث بالشقاءِ

سُعدى : هو مُقْبِلٌ أَبَتِ علينا يَنْهبُ الخطواتِ نَهْبا
وعليه آثارُ الدِّماءِ كأنَّهُ قد خاضَ حَرْبا
عيناهُ تُلقى فى قلوبِ النَّاظرينَ إليهِ رُعبا
فكأنما تَقِدانِ ناراً دبَّ منها الشرُّ دَبّا

[المشهد الثانى]

يظهر بعض أبناء مرة وبعض شيوخ بنى بكر ويشاركون مرة بالتفرس فى وجه جساس وهو قادم :

مرّة : جساسُ خيراً ما وراءَك ؟

جساس : إننى
بادرتُه بالرمح طعنةَ عاجلِ
فتركتُه عند « الذنائب » ثاوياً
وَطَمَرْتُه بحجارةٍ وَجنادِلِ
وأرَحْتُ بكراً مِن عدوٍّ جائرٍ
كم باتَ يُرهِقُها بجورِ نازلِ

مرة بحدة وغضب :

شُلَّتْ يمينُك أىَّ فعلٍ جئتَهُ أشعلتَ ناراً بينَ فَرْعَىْ وائلِ

كليباً قتلتَ ؟

جساس : نعم إننى

قتلتُ الذى راعَ مِنّا الحِمى

وهاجَ البسوسَ على ضَعفِها وضرَّجَ ناقتَها بالدِّما

فلا تَجْزَعنَّ لِوَقْعِ المُصابِ فقد كاد يقتلُنا بالظَّما

مُرَّة : لك الويلُ والبعدُ من طائشٍ

فأنتَ الجديرُ بأن تُعدَما

قتلتَ ابنَ عَمِّكَ خيرَ الرِّجالِ

وقطبَ النِّزالِ إذا ما انتمى

وأحْلَلْتَ فى وائلٍ فِتنةً

لأهونُ منها حلولُ العَمى

وخلَّفتَ أختَك بين النِّساءِ

تطوفُ بليلِ الأسى مُظلِما

أحد أبناء مرة :

ألا قَبَّحَ اللهُ وجهَ البسوسِ فما كانَ أخزى وما أشأما !

بنـابٍ تُراقُ دماءُ الـكرامِ فبئسَ الذى جئتَهُ بئسما

مرة : ستُلقى إلى تغلبٍ موثقاً وَثاقاً شديد العُرى مُحكما

فتقْتَصُّ منك كما تشتهى وتلقى الذى جئتَه عَلْقما

أحد أبنائه :

أتُسْلِمُهُ لِتغلبَ فى كليبٍ أبى ، فَلَنِعْمَ مافكَّرتَ فيه !

ألم نكُ عنـده بعضَ الموالى فيحملُنا على ما يشتهيه ؟

فلِمْ لا ؟ وهو فى الأموات ثاوٍ نقومُ بكلّ فعـلٍ يرتضيهِ ؟

آخر لجساس :

فـكمْ كنتُ أنهاكَ عن هذه وأنتَ بغيِّك لا تَنتهى

فما زلتَ تلهجُ بالداهياتِ إلى أنْ فعلتَ الذى تشتهى

مرَّة : أما والله إنى كنتُ أرضى بأن يقضى وأولادى جميعا

ولا يقضى كليبٌ بعد هذا وأفقِـدُه بصيراً أو سميعا

ملتفتاً لجساس :

فقُمْ فى وِزْرِ فعْلِكَ فاحْتَمِلْهُ لتلقى عنـدهُ الموتَ المُريعا

جساس :

أَبَتِ ، كفى لوماً فإنى راحلٌ عنـكمْ رحيلَ مُشرَّدٍ لا يرجعُ

فتبرَّءوا منى لتغلبَ واجعلوا مَعها دمى هَدْراً ولا تتوجَّعوا

فأنا الذى أجرمْتُ أحملُ فَعْلتى ما ذنبكم بجريرتى أن تُقرَعوا ؟

سأهيمُ في طول البلاد وعَرْضها وحدى وما يوماً ببكرٍ أُجمَعُ
فأريحُكُمْ من هولِ شَرٍّ ماثلٍ وأُريحُ نفسى من ملامٍ يوجِعُ
وإذا التقيتُ بتغلبٍ فمهنّدى عضبٌ أذودُ به الحِمامَ وأدفعُ
حتى تُخَرِّقنى الرماحُ ويَغْتدى جسمى طريحاً بالسيوف يُقطَّعُ

تميم أحد شيوخ بكر، لمرة :

ليس من الرأى أبا همَّامِ
بأن تَفُلَّ العزمَ بالملامِ
وتكسرُ القلوبَ بالكلامِ
فتنتحى بكرٌ عن الخصامِ
ولا تُلبّى دعوةَ الهُمامِ
وتغلبٌ تظفَرُ بالوئامِ
فتُنهض الشرَّ على الأقدامِ
وتَغْتدى عليك بالصَّمصامِ
بكفِّ كل دارعٍ مِقدامِ
فلا تُلاقى ناصراً يُحامى
ويدفع الحسامَ بالحسامِ
فانهضْ بحَمْلِ الكُرَبِ العِظامِ

وانزحْ ببكرٍ نأيَ المُقامِ
واشدُدْ سُروجَ الخيلِ بالحِزامِ
واشحذْ شِفارَ البيضِ للحِمامِ
وادعُ بنى تغلِبَ للسَّلامِ
بديةٍ من خيرةِ الأنْعامِ
فإنْ سلامٌ فمِن الكرامِ
وإنْ خِصامٌ فإلى الخصامِ

أحد أبناء مرة :

نعمَ أبى ما قاله تميمُ
فهو الحكيمُ رأيُه حكيمُ
لقد جرى الذى أتى به القدَرْ
وما لنا مما قضى اللهُ مَفَرْ
فلنجلُ من ليلتنا عن تغلبِ
فمُرْ بما ترى بهِ الخيرَ أبى
ولنشحَذِ السيوفَ والأسِنَّه
ونُعملِ الرِّكابَ والأعِنَّهْ
فليسَ جساسٌ قليلَ النَّاسِ
حتى نُخَلِّيهِ لموتٍ قاسِ

مرة مخاطبا الحارث بن عباد :

يابْنَ عُبادٍ ما ترى ؟ بما من الخطبِ نَزَلْ
أنت الحكيمُ المُرْتجى لِمُعضِلٍ إذا عَضَلْ
سمعتَ ما قال تميمٌ ذلك الشيخُ الأجَلْ
وما يراه الحارثُ ابنى هل بما قالا خَطَلْ
حِرتُ وَيْمَ اللهِ فى أمْرِىَ والخطبُ جَلَل
أدْلِ برأيٍ .

الحارث بن عباد :

ليسَ لى : من ناقةٍ ولا جَمَلْ
فتنةٌ صمّاءُ ما شأنى بها كلُّ مَنْ خاض لظاها احترقا
فإذا صُلحٌ فإنى مُصلِحٌ وإذا حَرْبٌ فما أهوى اللِّقا
كيفَ ألقى تغلباً فى مَعْرَكٍ وهمُ درعى الذى ما أخْلَقا
ما يمينى بابنَ عمى مُرَّةٌ تقطع اليُسرى إذا الجمعُ التقى

مرة :

يابنَ عُبادٍ ، فَلَكَ الخيارُ ليسَ على الناجين منها عارُ

و يلتفت لجساس :

جساسُ ماذا بالدماءِ فعلتَهُ ؟

جساس : أخفيتُها تحتَ الثَّرى وطَمرتُها

وطمستُ من شهبائه آثارَها بالماء ثم عقرتُها ودفنتُهـــا

مُرَّة : وأين همّامُ ؟

جساس : يحسو الصهباءَ بين القيانِ

فى روضةٍ مع «عدِيِّ[1]» لم يحفِـــلا بالزمان

مرة :

أرسِلْ إليـــه فرسى يَلْحَقْ بنـــا على عَجَلْ

ولا يَدَعْ مهلهلاً يدرى به كيف رحَلْ

نحن سنجلو الآن حتى « النَّهْيِ[2] » عن هذى الحِلَلْ[3]

---

(١) عدى أخو كليب و « المهلهل » لقبه لأنه هلهل الشعر ، أى أرقه

(٢) موضع ماء لشيبان (٣) الحلل : جمع حلة : وهى المجتمع والمجلس

الفصل الثانى

« المنظر الثالث »

[المشهد الأول]

قرب غدير « الذنائب » حيث قتل كليب

« القائفان عامر وعوف ومعهما بعض رجال تغلب »

عامر لعوف :

إلى هنا قد انتهى بنـا الأثَرْ
أين تُرَاهُ يختفِى عن النَّظَرْ ؟
منذ صباحِ الأمسِ قالوا : قد صَدَرْ
ولم يَعُدْ لِبَيتِهِ الملك الأغرّ
أين غدا ؟ أين نأى ؟ أين استقرّ ؟
عجائبٌ قد حيَّرَتْ مِنّا الفِكَرْ
وتغلِبٌ وكلُّ مَنْ فِيها حَضَرْ
يصيحُ أين المَلِكُ ؟ يا قافى الأثَرْ
وخَنَسَتْ بكرٌ وشـدَّتْ للسَّفَرْ
كأنَّهُ لم يَعْنِها هـذا الخبرْ

فهمسَ الوهمُ بأُذْنى وأسَرْ
جريمةٌ يا عوفُ لَيْسَتْ تُغْتفَرْ

عوف :

أثرُ « الشَّهباءِ[1] » قد حيَّرنى ... وَرَدَ الماءَ وفى الماءِ اختفى
أغدا فى الماءِ ؟ أم صار إلى ... حالِقِ الجوِّ ؟ أم الجنَّ اقتفى ؟
ليس يا عامرُ خيرٌ يُرتجى ... من دوام السَّيْرِ والأَثْرُ عفا
فَلنَسِرْ والماءَ نجلو أمرَهُ ... إنَّهُ عن سوءِ قصدٍ أُتلِفا

عامر مُحدِّقاً بالأرض :

سِرْ ودعنى عوفُ ، قد خلتُ هُنا ... حدثاً أوقعَ فى رُوعى الوَجَلْ
إن تكُ (الشَّهْباء) فى الماء جرَتْ ... فأرى عنها كليباً قد نزلْ
هذه آثارُ أقدامٍ بدَتْ ... بينها نعلُ كليبٍ قد مَثَلْ
نعلُه ما غابَ لا أجهلُه ... أمشى فى السَّهل أم فوقَ القللْ
فأنا عامرُ لا يُعْجزنى ... أثَرُ الغادى ولو أمَّ زُحَلْ
فمتى عُدتَ تجدْنى ها هُنا ... حَوْلَ ذاكَ القاعِ أو عند الجبلْ

(يسير كل منهما فى جهته)

عامر لنفسه :

عجيبٌ عجيبٌ! هنا بُقعةٌ ... تُشير إلى وَقعةٍ حاميه
صِدامٌ عنيفٌ وكرٌّ وفرٌّ ... فأين هى البُقعةُ الداميه؟

---

(١) فرس كليب

[المشهد الثانى]

يظهر امرؤ القيس بن أبان أحد فرسان تغلب ومعه بعض رجال القبيلة و « قيس » الأثر الثالث .

امرؤ القيس لعامر :

أعامرُ ماصنعتَ ؟ وأينَ عوفٌ ؟ ... وهل جَلَّيتُما بعضَ الخفاءِ
تركتُ الحىَّ فى هرجٍ ومرجٍ ... وأزعج خاطرى صوتُ البُكاءِ
أما لِكليبَ من أثرٍ ؟ فيُرجى ... لقاء كليبَ من قبل المساء

عامر :

إنتظر يابنَ أبانٍ إننى ... كدتُ أجلو السترَ عن هذا الخفاءْ
إنَّ عوفاً سار والماءَ إلى ... حيث خال الحِجْرَ[1] قِيدتْ للفناءْ
وهُنا أمْرُ كليبٍ واضحٌ : ... أثرُ النَّعل ومقياس الحِذاءْ
وعراكٌ هذه آثارُه ... ناشبٌ ماأخْضَبَ الأرضَ دِماءْ
فارسانِ إثنان كانا عندهُ ... ثم عادا جهةَ الشرقِ سواءْ

ابن أبان لقيس قائف الأثر الثالث :

فاتَّجِهْ يا قيسُ فى إثْرِها ... مُسرعَ الخطوِ وعُدْلى بالجلاءْ
أنتَ كم أظهرتَ من خافيةٍ ... سِرُّها أعجز عقلَ الحكماءْ

قيس وهو يقص أثر الفارسين :

ها أنا يابن أبانٍ ذاهبٌ ... لطف الله بما أخفى القضاءْ

---

(١) الحجر : أنثى الخيل

« عامر وهو منهمك بقص الأثر وبعيد عن ابن أبان ومن معه بعض البعد » :

إلىَّ إلىَّ يابن أَبان . !

ابن أَبان يهرع إليه : ماذا ؟

عامر : . . . . . هُنا تحت التراب دمٌ جديدٌ

لقـد أخْفَوهُ عن عمدٍ وإنى لأَحسبُ أنه الخطبُ العتيدُ

ابن أبان : وهل أثرٌ تراه من كليبٍ ؟

عامر : نعم من نعلهِ أثرٌ شهيدُ

ابن أبان : وأين إذن كليبٌ بات منه ؟

عامر : سيجلو أمرَه البحثُ المزيدُ

[المشهد الثالث]

أحد رجال تغلب لابن أبان : ذاك عوفٌ قد أتى

آخر : ذاك قيسٌ قد رَجَعْ

ابن أبان لعوف : فما وراءَك عوفٌ ؟

عوف : إنهم عقروا

شهباءَه ثم أخْفَوْها بأحجارِ

وجدتُها بعـد قطعى الماءَ مرحلةً ولم أجـدْ لـكليبٍ أىَّ آثارِ

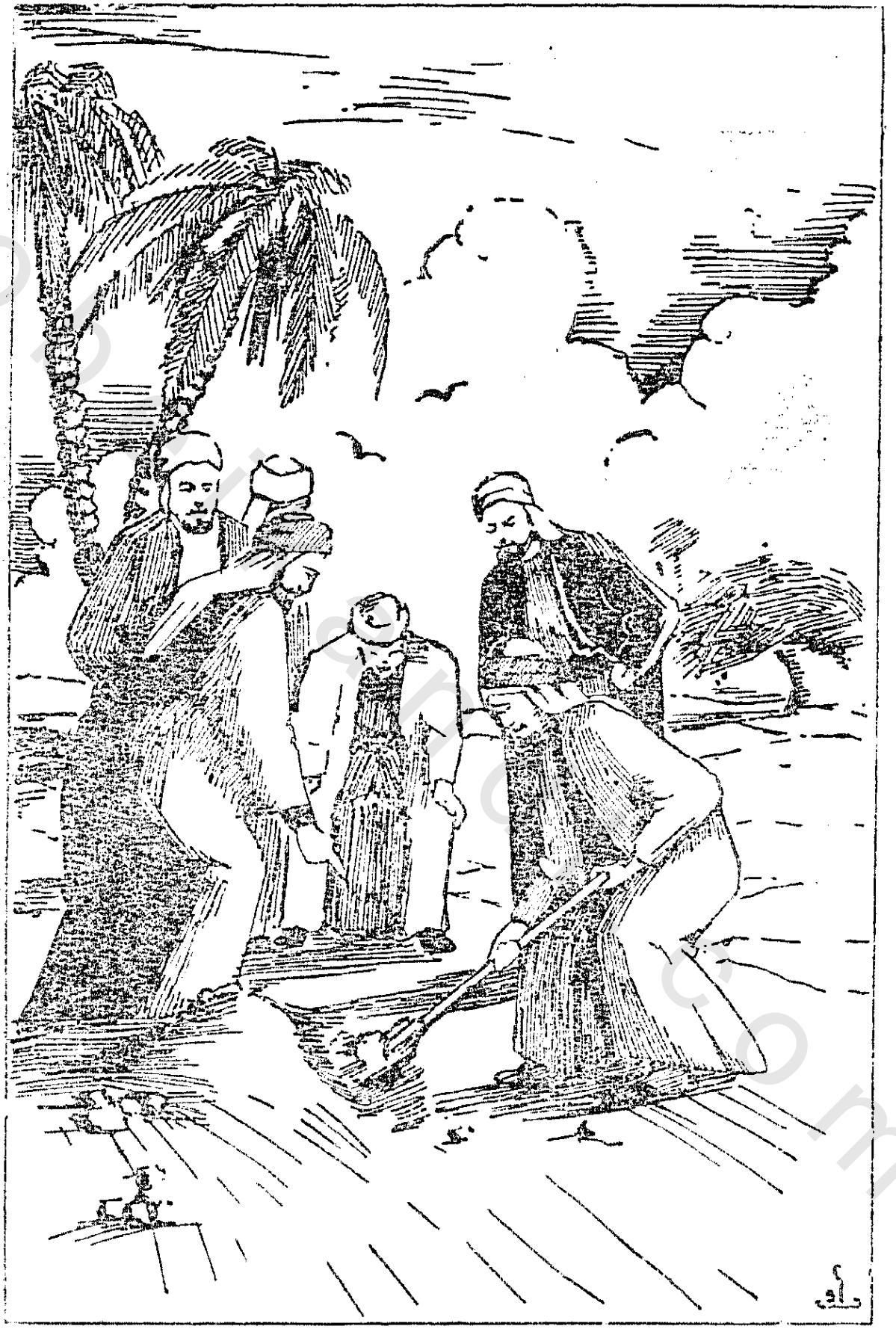

أزيحوا هذه الأحجار عنهـــا فقد نطقت وما يستطيع نطقا

obeikandl.com

ابن أبان مخاطبا قيس :

والفارسانِ ؟

قيس : هما عمرٌو وصاحبُه

جسّاسُ

ابن أبان : تبًّا لخوّانٍ وغدّارِ

قيس مستمرا :

ما زلتُ أمشى على الآثار مُقتفِياً حتى أحتوتنى لبكرٍ ساحةُ الدار

هناك ألفيتُ كلاًّ منهما عَطَفَتْ به إلى بيتهِ خُطواتُ مِغوارِ (١)

والقومُ قد رحلوا ما فى منازلهم غيرُ الجنادب صَرَّتْ ، أىّ ديّارِ

« عامر وقد عثر على المكان الذى أخفيت فيه جثة كليب » :

جريمةٌ يابن أبانْ قد عقَدَتْ منى اللسانْ

هنا الدّماء فُجِّرَتْ هنا الوغى هنا الطِّعانْ

هنا كليبٌ قد ثوى هنا رماهُ الفارسانْ

وغدرُه ياحسرتا قد كان فى هذا المكانْ

« يهرع ابن أبان ومن معه مذعورين »

ابن أبان لعامر : أحقًّا ما تقولْ ؟

---

(١) الفرس المغوار : السريع

عامر : أقولُ حقًّا

وهٰذى تُربة المغدور تُسْقى

أزيحوا هـذه الأحجارَ عنها فقد نطقتْ وما يستطيعُ نُطقا

ابن أبان لمن معه : أزيحوا هذه الأحجارَ

عامر : . . . . . هذا كليبٌ، بطنهُ والصدرُ شُقّا

ومثّـلَ قاتلوه به فويلٌ لقاتله غـداةَ الموت يَلقى

الجميع معاً :

بنى شيبانَ أنتم قاتلوه فسُحقاً يابنى شيبان سُحقا (مرتان)

أحدهم :

سنُنزل فيكمُ غيرَ الليالى تدقُّ رقابَكم والصدرَ دقّا

ونثأرُ للمليكِ ورُبَّ ثأرٍ يُبيدُ سَرَاتَكم قتلاً وحَرقا

ابن أبان لبعض من معه :

إنْعَ للحىِّ كليباً وَلْتُوَافينى الرِّجالْ

نحملِ المَلْكَ المفدَّى ونُنادى للقِتـال

ابن أبان مستمراً :

أليسَ مِن أوجع البلوى وأفْجَعِهـا ؟

بناقةٍ يقتلون السيِّدَ البطلا

أبناءَ مُرَّةَ إنَّ السيفَ يطلبكم

وليس يُغْمَدُ ما نَدْبٌ له حَمَلا

حتى يوارى أديمُ الأرضِ شأفَتَكم[1]

ولا أرى فيكمُ بين الورى رجلا ؟

« ستار »

(١) الشأفة : الأصل .

obeikandl.com

obeikandl.com

لعمرك هذا الروض والماء والخمر ... وجارية تشدو ويشدو بها الشعر
هو العيش حلو ما ترى فى إهابه ... هموماً ولا فى مثله رتع الدهر

obeikandl.com

الفَصْلُ الثَّالِثُ

[المشهد الأول]

(المهلهل وهمام فى روض بالقرب من منازل تغلب يعاقران الخمر ومعهما جاريتان دعد ورباب)

المهلهل ثَمِلاً :

لعمرُك هـذا الرَّوضُ والماءُ والخمرُ
وجاريةٌ تشدو ويشدو بهـا الشِّعْرُ
هو العيشُ حُلْوٌ ما ترى فى إهابه
هموماً ولا فى مثـله رتع الدَّهرُ
فهاتى من الصهباءِ مِن دَنِّهـا[1] الذى
لقد عُصِرَت فيـه ولم تُعرَف الخمرُ
تدِبُّ إلى الأحشاء وهى لطيفةٌ
وتسرى إلى الأعضاء ، ما سرُّها سِرُّ
هل العمرُ إلاَّ رِحـلةٌ طال همُّهـا
فهيِّئْ لهـا ما قد يطيبُ به العمرُ

---

(١) « الدن » الجرة الكبيرة

وما مثلُ هذى الكأسِ شَعَّتْ منيرةً
تلاقى بها الأيامَ ظلماؤها فجر
ودعدٌ سَرَتْ سِرًّا إليك بطيبها
تُعاطيكَها والسرُّ يفضَحهُ الجهرُ
وغنَّتْ « ربابٌ » وهى تزهو بحسنها
وقد نَقَرَتْ بالدُّفِّ ياحبَّذا النَّقْرُ
فتلك لنا شمسٌ أضاءت عيونَنا
وهذى لنا فى الليلِ ما طَلَعَتْ ، بدرُ

« مستحرا ومشيرا إلى هام »

وخِدْنٍ على اللذاتِ بات موافِقى
إذا قلتُ قال : النَّهْىُ دونَكَ والأمرُ
فمِنْ منهلٍ عذبٍ يطيبُ ورودُه
إلى روضةٍ غنَّاءَ يُجْلَى بها الصدرُ
أقول له : ما أنتَ والرَّوْضَ والهوى ؟
يقول إلى هٰذيْنِ ، شيمتىَ السكرُ
فدونكَها همَّامُ كأساً كأنما
من النجم أجراها بِنَفْثَتِهِ السحرُ

وهاتى «رباب» من أغانيك واسجعى
ويادعدُ هـذا اليوم قد زارنا البِشرُ

هام :

إذا كان «همّامٌ» من الخمر يكتفى
بكأسٍ، ألا يا زيرُ[1] لم يكفِك الدَّنُّ
فلم ترَ عَيْنى مثلك اليوم شارباً
ولا قَدْرَ ذا يحسوه إنسٌ ولا جِنُّ
كأنَّكَ قد بِعتَ الحياةَ بسكْرَةٍ
مدى العمر تَبْقَى إنَّ هذا هو الغُبنُ

[المشهد الثانى]

(يقهقهان وتشاركهما الجاريتان فى ذلك . رباب تعزف على العود وتأخذ بالغناء) :

يا وردة الرّوض ما أبهى مغانيكِ .
وما أرقّ حديثَ الوجد من فيك
كتمتِ حُبَّك حيناً ثم بُحتِ به
كأنّما حبُّك المكتومُ يؤذيكِ
شذاكِ فى الحبّ ، يُدنى الصبَّ من أملٍ
وشوكةُ الصَّدِّ تُدمى مَنْ يُدانيكِ

(١) الزير الذى يحب محادثة النساء . وهو لقب المهلهل

يا وردةَ الرَّوض حيَّا اللهُ بُلبلَه
شدا بلحنٍ جرت فيـــــهِ معانيكِ
وزهرُهُ شاخص الأبصـار مبتسمٌ
يرنو إليكِ ويُملى من أماليكِ
أنهى إليكِ بتـاج الرَّوض مُغْتَبِطاً
ما دولةُ الروض شيءٌ فى أمانيكِ
أنتِ المليـكةُ ، زينُ الرَّوضِ بهجتُهُ
لا أسعدَ اللهُ يوماً حال شانيـــــكِ

همام :

ربابٌ صوتُها صوتٌ رخيمُ ودعدٌ ما حييتُ بها أهيمُ
فكم مِن مجلسٍ حبتاهُ أنساً وقد جُمع المُدامةُ والنَّديمُ

المهلهل :

بالأمس زرتُ كُلَيْباً فلامنى ولحـــانى
وقال لى يابنَ أُمِّى إلى متى أنت وانِ ؟
ملأتَ هذى البوادى بذكر حُسن الغوانى
ولم تدع زِقَّ خمرٍ لِمُدْمِنٍ أو لِعـانِ
أضعت عمرك تحسو الصهباء بين القيـــان

إلى متى أنتَ تبقى ؟ زيرَ الدُّمى والحسانِ
هَلْهَلْتَ ذا الشّعر حتى أضحى رقيقَ المبانى
فلو عمدتَ لِلَهْوٍ بِمُرهفٍ أو سنانِ
وصونِ مُهرٍ كريمٍ لِلسَّبق يومَ رهانِ
وجُدتَ بالشعر فَخْراً أو وصف حربٍ عوانِ
أو حِكمةً يرتضيها للقلبِ سِحرُ البيانِ
لكنتَ أبقى لنجدٍ على ممرِّ الزمان

همام : أثَرُ النصيحةِ قد بدا فى الكاسِ

المهلهل : فاشرَبْ فُديتَ ودع كلامَ الناسِ

همام : أمهلهلٌ يَثنيهِ عن لهو الصِّبا، ثانٍ؟

المهلهل : بعيدٌ ذا عن المقياس

همام : أمهلهلٌ عن وصل نُعمٍ ينثنى؟

المهلهل : لا ، لا فمِن أنفاسها أنفاسى

همام : ماذا أجبتَ أخاك ؟

قلتُ له أخى

لا تَستمِع لوساوس الجُلاَّس

أنا إن شربتُ فَدَنُّ خمر واحدٍ

فاذا سكرتُ فهل ترى من باسِ؟

وإذا وصفتُ الغيدَ فى شعرى فما

أنا قائلٌ ذا الشعرَ بل وَسواسى

هنَّ اللواتى قد أثرنَ صبابتى

وأسَرْنَ قلبى بعد طولِ شِماسى

فجفا وزمجرَ مُغضَباً فتركتُهُ

ورجعتُ أحسو الكاسَ إثرَ الكاسِ

همّام :

لِلّهِ درُّك يا مهلهلُ شاعراً ملأ القوافى رِقّةً ونسيبا

قدزدت فى قدر الحسان محاسناً وكسوتَهنَّ مدى الزَّمانِ قشيبا

المهلهل :

بل فارساً همّامُ ، فى يوم الوغى يُصلى الأعادى حرَّها المشبوبا

يحمى حماهُ ،

همّام مُقهقِهاً : وهو دَنٌّ سائرٌ

أبداً تَمايلَ شمألاً وجَنوبا

المهلهل بانفعال :

همّامُ حسبُكَ ليس سُكرى مانعى مِن أن أنال من الفَخارِ نصيبا
ستَرى فعالى يوم تشتجرُ القنا فأجيبهُ إذ لا تكونُ مُجيبا

(دعد وقد أشفقت أن يحدث بينهما ما يكره)

دعانا من الحرب أو ذِكرَها ألا قبَّح الله وجهَ الحروبْ
فليست تجرُّ بأذيالها سوى كلّ خطبٍ عميم الكروبْ
فمجلسُنا طابَ فى أُنسه فهيَّا إلى الخمرِ قبلَ الغُروبْ

تُقَدِّمُ كأساً للمهلهل : مهلهلُ دونكَ

المهلهل يأخذ الكأس : . . . . . كأسَ التى
إليها تَحِنُّ شِغافُ القلوبْ

ثم لهمّام : وهمّامُ

همام . . . . . حسبى

دعد : فخُذ هذه

همام يأخذ الكأس : لقد طيَّبَ الكأسَ ثغرُ الحبيبْ

دعد : هَلُمَّا فالعبا النَّرْدا

همام : ومَنْ يَقمِرهْ(١)

المهلهل : يَقِلْ دعدا

دعد : فما دعدٌ براضيةٍ وهذا الشرطُ ما أجدى

(١) قمره : غلبه فى القمار

فمن يَقْمِرْ بدِستينِ يجرّ البازلَ[1] النَّهْدَا

همّام : لقد صَدَقَتْ ، فهاتيه ربابٌ كاملاً عَـدَّا

(تحضره رباب ويأخذان باللعب)

المهلهل : لقد قمرْتُكَ ياهمامُ

همام : واحدةٌ

هلمَّ ثانيةً

المهلهل : والشرط

همّام : موجودُ

المهلهل : وهذه قِمرَةٌ أخرى

همّام صباحَ غدٍ

يقوده لك قبـل الشمس مسعودُ

[المشهد الثالث]

ينظر همام فيرى على بعد منه جارية تقود فرساً وتشير إليه أن يأتى إليها :

همام : أتلك « وطفاء » تقودُ فرسا ؟

تشير لى عساه من خيرٍ عسى

يهرع همام إليها :

فما وراءكِ يا وطفاء؟

---

(١) البازل : البعير الذى انشق نابه لدخوله بالسنة التاسعة .

وطفاء : . . . . . داهيـــةٌ

دهماء أردى كُليباً كفُّ جسَّاسِ

بطعنةٍ نَفَذَتْ فى الصَّـــــدرِ قاتلةٍ

عند «الذّنائبِ» لا يُجدى بهـــا آسِ

وقد جَلَتْ «بكرُ» حتى «النَّهى»(١) ظاعنةً

فالحقْ بأهلك وأكتُمْ ذا عن الناسِ

همام لنفسه :

أفعلتَها جساسُ فعـلةَ طائشٍ هذا الذى والله كنتُ أحاذرُ

أوقعتَ بكراً فى شقاءٍ دائمٍ وتركتَ «تغلِبَ» مجدها يتناثرُ

وأثرتَ ناراً بين فَرعَىْ وائلٍ أبد الزمان شرارُها متطايرُ

وطفاء سيرى إننى بكِ لاحقَ بعد الغُروبِ وحيث صاروا صائرُ

وطفاء :

إركب وخلِّ مهلهلاً فى سُكره من قبل أن ينعى كليباً ناعِ

أخشى عليكَ إذا درى من بطشه فالزير ليس إذا صحا بِلَكاعِ

همام :

أخاف بأنَّ تغلِبَ قد أتاها نَعِىُّ كليبَ ، فهى على ضِرامِ

---

(١) النهى ماء لشيبان وقد تقدم الكلام عنه .

فتُرديني إذا شَعَرتْ بأمرى فلستُ بذاهبٍ قبلَ الظَّلامِ

(تذهب وطفاء ويرجع همام إلى المهلهل)

المهلهل لهمام :

أطلتَ ووطفاءَ الحديثَ كأنما هنالِكَ خطبٌ يابن مُرَّة واقعُ
فأدلِ به همَّام فالعهـدُ بيننا نبوحُ بما تُطوى عليه الأضالعُ

همام بلهجة المازح :

وطفاءُ بلهـاءُ حقاً تهذى بشرِّ المصائبْ
تقول: جساسُ أردى أخاكَ عندَ «الذنائبْ»

المهلهل متناولاً كأساً من الخمر :

جساس يُردى كليباً ؟ إنَّ المُحَدِّثَ كاذِبْ
أخوك أقصر باعاً يَمُدُّهُ للنوائبْ
متى أغارتْ بسوءٍ ؟ على الليوث الثعالبْ
فلا تُصَدِّقْ مُحالاً واشرب فها أنا شاربْ

يأخذ همَّام بالشرب وهو يرتجف :

وَطفـاءُ أعْيَتْنى وأعيا أمْرُها أهلى فما تَروى حديثاً صادقا
كم ذا على كَذِبِ المقالِ أهَنتُها حتى لَكِدْتُ أسُلُّ منها النَّاطقا
لكنها البلهاء ما انفكَّتْ كما هى تستسيغُ القولَ شرًّا ماحِقا
هى لا تُبالى ما يَجُرُّ حديثُها حتى كأنَّ بها غراباً ناعِقا

والكَذْبُ داءٌ فى النفوس جديدُهُ كقديمِهِ أعْيا الطبيبَ الحاذِقا

بلهجة المازح :

فاشربْ مهلهلُ إننى بك واثقٌ ما دمتَ بى ، لا بالجوارى واثِقا

دعد :

ما كلُّ جاريةٍ همَّامُ كاذبةٌ
وإنما هـــذهِ بلهاء خرقاء
بِعْها بِيثربَ تُبعِدْ شؤمَ مَنْطِقِها
عنا ، فما الطبُّ أعيانا ولا الدَّاء

المهلهل : إن كان حقاً ما تقولُ الجاريه
أُصلى بنى شيبانَ ناراً حاميه
بكلّ مغوارٍ أغرّ النّاصِيه
يفعـــل ما يقولُه علانيه
مُصَبِّحاً « بكراً » بكلِّ داهيه
فلا يُبَقِّى منهمُ مِنْ باقيه

همام رافعاً كأساً أخرى للمهلهل وقد اشتد به الخوف منه :

إشْرَبْ أبا ليلى ودَعْ هذا الخبَرْ
فمـــا لهُ إذا تحرَّيتَ أثَرْ

إشربْ فقد طابَ الشرابُ والسَّمَرْ
وخيَّمَ الليـــلُ علينا وَسَـــتَرْ
وهجعَ العاذِل من طول السَّهَرْ
وحرَّكَ النسيمُ أعطافَ الزَّهَرْ
فمـــلأَ الروضَ شـــذاهُ وانتشَرْ
فأَصلحى رَبابُ مِنْ هـــذا الوَتَرْ
وأسْمعينا منكِ لَحْناً مُبتَـكَرْ
فإنما ليلتُنا مِن العُمُرْ

تأخذ رباب العود للغناء فيمنعها المهلهل :

المهلهل :

« دعينى فما فى اليومِ مَصحًى لِشاربٍ
ولا فى غدٍ ما أقربَ اليومَ مِن غدِ[1] »

« دعينى فإنى فى سمادِيرِ[2] سَـكْرةٍ
بهـا جَلَّ همِّى واستبانَ تَجَلُّدى[2] »

« فإن يَطْلُعِ الصبحُ المنيرُ فإننى
سأغدو الهُوَينى غيرَ وانٍ مُفرَّدِ[3] »

---

(١) الثلاثة أبيات لمهلهل .
(٢) السمادير : غشى الدوار والنعاس من السكر

« وأُصبحُ بكراً غارةً صَيْلميةً[1]
ينالُ لظاها كلَّ شيخٍ وأَمْرِدِ[2] »

(ويقع صريعاً من شدة السكر)

همام :

لقـــد فَعَلَتْ فيهِ المُدامةُ فعلَها
فَباتَ صريعاً لا يُفيقُ مِنَ السُّكْرِ

دعد : فهذا أبو ليـــلى صريعُ مدامةٍ
وذاكَ صريعٌ لا يُفيقُ مدى الدّهرُ

همام : فمن تعنينَ يا دعد ؟

دعد : كليباً ، خانهُ السّعدُ
فمـا وطفاءُ كاذبةٌ
وهزلُكَ كلُّه جدُّ
لقد أودى أخوك به
وعكرَ صفوَنا نَكْدُ

وكم أشفقتُ من شرٍّ هنا بينكما يبـدو
فقم واذهب على عجلٍ فإنا هاهنا سُهد
وهذا «الزّيرُ» نشوانٌ ومن يومَيْنِ لا يغدو

---

(١) صيلمية : شديدة مستأصلة .
(٢) البيت لمهلهل .

همام :

ألا بئستْ فعال أخى ولا سَلِمتْ له زندُ
وداعاً إننى سارٍ وهذا الليلُ مُسوَدّ
ولا أنسى مجالسَنا وأنسُكما بها يبدو
فهل يا دعدُ من عَوْدٍ لها هيهات يا دعدُ

« ستار »

obeikandl.com

الفصل الرابع

« المنظر الأول »

[المشهد الأول]

(فى منازل بنى تغلب ، فى خيمة كليب)

جليلة :

أبكيكَ حتى ينفدَ الدمعُ يا من نأيتَ وماله رَجْعُ
أبكيك حتى القلبُ من وَلَهٍ يُمسى قريحاً ما به نَفْعُ
أبكيك حتى النورُ تفقِدهُ عينى وحتى يذهبَ السَّمعُ
أبكيك يا من قد بكاه معى وجداً عليه السيفُ والدِّرعُ
والخيلُ ذاهلةٌ عليه أسًى والحىُّ أوهى جَمْعَهُ الصَّدعُ
يبكيه لا يُصغى لناصحه إذ باتَ لا يُصغى لمن يدعو

(تظهر « هند » أخت كليب وتدخل الخيمة صائحة ومعها بعض قريباتها) :

هند لجليلة :

يا أُخْتَ واترنا وصِنْوَ القاتلِ
قومى ارحلى عنَّا بشرِّ ماثلِ

قومى ارحلى فلأَنْتِ أشأمُ طَلْعَةً
وأخوكِ أغدرُ فاتكٍ مُتحايلِ

سيرى لأهلِكِ حيثُ ساروا فى الدجى
يُخفونَ فِعْلَتَهمْ بِرَحْلِ الرّاحل

لا تشمتى فلربَّ ثاوٍ فى الثَّرى
خيرٌ من الحِبِّ اللئيم الغائل

فغداً فوارسُ تَغلبٍ وكُماتُها
تغدو إلى بكرٍ بنصلٍ(١) ناصل(٢)

فإذا أخوكِ على الصَّعيدِ مُجَنْدَلٌ
وإذا أبوكِ يدُقُّ صدرَ الثّاكلِ

أنا إن بَكَيْتُ، بَكيْتُ نادرةَ العُلا
وإذا بكيْتِ، بَكيْتِ ألأمَ خاتلِ

جليلة :

يا هندُ حسبىَ فى فؤادى جمرةٌ لا تنْطفى أبدَ الزمانِ القابلِ
أبكى هُنا وهناكَ أبكى حسرةً يا للمُصابِ لِعاجلٍ ولآجلِ
قد هدَّ مِنّى الدَّهرُ رُكناً قائماً وعدا علىَّ بشرِّ خطبٍ نازل

(١) النصل : حديدة الرمح والسهم والسكين . السيف
(٢) الناصل : من نصل السهم : إذا ثبت فى نصله .

فَقْدُ القَرينِ ونِقمةٌ من أهلِه ... وفراقُ منزلهِ بذُلٍّ ماثِلِ
أُختى أتشمتُ حُرَّةٌ بقرينها ... وبِفقْده فَقْدُ الرَّجاءِ الكاملِ
هو جَنَّتى فى ذى الحياةِ فقدتُها ... هو ركنُ بيتى خرَّ فوق الآهلِ
هو نورُ عينى فى الوجودِ عَدِمتُه ... أوَ بعده غيرُ الظلام الحافل ؟
فابكى أخاكِ معى وحظًّا عاثراً ... لاقتهُ أختُك فى إهابِ الحاملِ
فأنا التى غال الزمانُ فؤادَها ... وأنا التى رُمِيَتْ بنبل النابل
أكليبُ حُلمك قد تفسَّر إنَّه ... ما فى السما نجمٌ يضىء لآمل
جساسُ أىَّ عظيم فعلٍ جئتَهُ ... جساسُ أصمانى بسهمٍ قاتلِ
أختى وداعاً نغَّص الموتُ الهنا ... مِنّا وفرَّق بين فَرْعَىْ وائلِ

إحدى قريبات كليب :

لا ترحلى لا تغضبى لا تبعُدى ... بكِ من كليبٍ وارثٌ وحبيبُ
ألبيتُ بيتُكِ فالزميهِ وهذهِ ... أقوالُ هندٍ أنَّهُ ونحيبُ
لا تعتبى فالرزءُ أذهل لُبَّها ... ولَطالما عذرَ المُصابَ لبيبُ

[المشهد الثانى]

(بينما تحاول جليلة الرحيل بظهر المهلهل فيلتفتن جميعا إليه ويلتففن حوله) :

المهلهل لابنتيه الصغيرتين :

ليلاىَ ، سلماىَ ؟

يرى أخته هند باكية : هندٌ

كفِّى دموعك كُفِّى

سنشتفى لكليبٍ لكل عُضوٍ بألفِ

ثم يرى جليلة باكية :

جليلَ تبكين ؟ ماذا ؟

جليلة : . . . . . أبكى وقد ضاعَ إلفى

وهدَّ دهرى كيانى فليتَ ذا الحتفَ حتفى

المهلهل :

أبْقِينَ دمعاً وعَيْناً تبكى بُكاءً طويلا

فكلَّ يومٍ سينعى النُّعاةُ منا قتيلا

حتى يشيعَ ببكرٍ داءُ الحِمامِ وَبيلا

ولا ترى العينُ منهم خِلاًّ يواسى خليلا

جليلة :

أبناءُ عمٍّ تَساقَوْا كأسَ الحِمامِ غِضابا

ليتَ النّسا قبلَ هذا فى اللَّحد كُنَّ تُرابا

هنَّ اللواتى يَذُقْنَ الهوانَ والذلَّ صابا

وهنَّ يَشقُقْنَ جَيْباً ويَفتَقِدْنَ الشبابا

ويحتملنَ الرزايا مبيدةً والعذابا

وللرجال قلوبٌ كالصخر قُدَّت صِلابا
تُطوى على الحِقْدِ حتى يحولَ ظُفراً ونابا
يُمزِّقانِ حِمياً ويُدمِيانِ الصِّحابا
مهلهلٌ كُنْ حكيماً إن قالَ قولاً أَصابا
ما ذنبُ بكرٍ إذا ما جساس غالَ وغابا
فَكلُّهم لكَ دِرعٌ يقي إذا الشرُّ نابا

المهلهل :

ما بكرُ درعاً أراها من بعد فقد كُليبِ
دعى كلامَك هـذا فالنارُ تذكو بقلبي

ابنته ليلى :

أبى جليلةُ تبغى عن الديارِ ارتحالا
جريحةَ القلب ، هندٌ قَسَتْ عليها مَقالا

المهلهل :

جليلةٌ ليسَ تغدو من بيتها ، ليسَ تغدو
فمِن كليبٍ وليدٌ مِنها لنا سوف يبدو

مخاطباً جليلة :

لا تسمعي قولَ هندٍ

ملتفتاً لهند : أخطأتِ ، أخطأتِ هندُ

هند :

أخى ما كنتُ مخطئةً فَذَرْها تَرْحَلِ الآنا
أليستْ أختَ جساسِ الذى بالغـدرِ وافانا
فَذَرْها لا ترى عيناىَ من شيبانَ إنسانا

جليلة :

البيتُ بيتكمُ والحىُّ حيُّكمُ
فليس لى فيه بعدَ اليومِ مِن راعِ
أعودُ من حيثُ جاءت بى ركائبُه
لحىٍّ أهلىَ أشكو فيه أوجاعى
يا سعدُ زُمَّ مَتاعى فوق راحلتى

المهلهل : لا تعجلى

هند : لِتَسِرْ وَلْيَنْعَها الناعى

جليلة وهى خارجة :

يا ليتهُ قد نعانى مِن قبلِ نَعْىِ حليلى
يا ليتنى قبلَ هذا فى القبر كانَ مقيلى

« تمشى قليلا ثم تلتفت نحو بيتها » :

يا منزلاً لم يَبْقَ لى من عودةٍ
يوماً إليه وَداعَ إلفٍ راحل

قد كان لى والعيشُ صافٍ مونَقٌ
واليومَ أنزحُ عنه نزحَ الذَّاهل
ألفيتُ آمالى به وأضعتُهـا
فيـه وعُدْتُ طريدةً لمناهلى

المهلهل وهى تبتعد :

سيرى لأهلكِ ماذا تصنعينَ هُنـا
تُبدينَ حزنَكِ والأفراحَ تُخفيهـا
ما أنت بعـد كليبٍ غيرَ ساعيةٍ
بما يُهدّمُ مِن قومى مبانيهـا
وَيدفعُ الشرَّ عن بكرٍ ويرفعُها
حتى تتيهَ علينا فى معاليهـا
ويلٌ لبكرٍ غداً منِّى إذا ابتدرَتْ
سوابقُ الخيلِ للغاياتِ أُجريهـا
« نعى النُّعاةُ كليباً لى فقلتُ لهم
مالتْ بنا الأرضُ أم زالتْ رواسيها[1] »
« ليتَ السماء على من تحتها وقعَتْ
وانشقَّتِ الأرضُ فانجابَتْ بمن فيها[2] »

(١ و ٢) البيتان لمهلهل

[المشهد الثالث]

« تسمع ضجة قرب خيمة المهلهل وأصوات » :

حَطِّموا الرماحْ واُعقِروا الخيولْ
أتلِفوا السلاحْ واُكسروا النصول
قد قضى كليبْ قاهرُ العِدا
قد قضى كليبْ ليتنا الفِدى

« يظهر أبو نويرة وامرؤ القيس بن أبان قادمين لخيمة المهلهل . النساء يلتزمن خباءهن » .

المهلهل لأبى نويرة :

أبا نويرةَ ما هذا الذى صَنَعوا ؟
مَنْ يعقِرُ الخيلَ والأهوالُ تَقتَرِعُ ؟
من يُتلِفُ السيفَ والخطِّىَّ إنَّهما ؟
يدا المنونِ التى يُردىٰ بها الجشَعُ ؟
خِفُّوا إلى النـاس لا تُعْقَرْ خيولُهم
ولا تُحطَّمْ لهم خَطِّيَّةٌ شُرُع
إنَّا سنوردُها بكراً ونُعمِلُها
فى صدرِ فُرسانِها والموتُ يَندفِعُ

إن يُتلفوها بماذا يُتلفونَ إذنْ
أعداءهمْ ، أفلا عقلٌ لهم يَزَعُ
فادعوا إلىَّ شيوخَ الحىّ كلَّهم
لينظروا ما غداً فى الحربِ نصطنعُ

أبو نويرة :

لقد أذهلَ الناسَ خطبُ المليكِ وما ذلك الخطبُ بالهيِّنِ
فكم قد نهيتُ وكم قد نصحتُ وبعضُ ذوى الجهلِ لا ينثنى
فسِرْ بأمرأ القيس وانصح لهم فإنَّ النصيحةَ للمُحسن
وأبلغْ شيوخَ بنى تغلبٍ لتحضُر مجلسَنا لا تنى
فهذا المهلهلُ ليثُ الطِّراد نسيرُ على رأيِه الأحسنِ

(يذهب بن أبان)

[المشهد الرابع]

(يدخل بعض شيوخ تغلب)

أحدهم : عِمْ أبا ليلى صباحاً أنتَ كهفُ الحائرينْ
أنتَ من بعد كليبٍ مَلْكُنا العدلُ الأمينْ
آخر : إننا جِئْناكَ نبغى منك هدياً ورشادا
لِترى رأيَك فى الأمرِ صلاحاً وسَدادا
قد عَدَتْ بكرٌ ولم تحفَظْ لأهليها ودادا

آخر : فَجَعَتْنـــا بكليبِ فَنَفَتْ عنـا الرُّقادا
دمتَ للسِّلم وللحربِ مناراً وعمـادا

يرجع ابن أبان :

زَجَرْنا النـاسَ عن عَقْرِ الخيولِ
وتحطيمِ الأسِـنَّةِ والنُّصُولِ
وتلكَ شيوخ تغلبَ قد تنـادتْ
تُلبّى دعوةَ الشهمِ النَّبيـلِ

(يدخل شيوخ آخرون)

« المهلهل بعد أن يتكامل مجيء الشيوخ » :

بنى عمى لقـد مَتَعَ(١) النهـارُ
وبكرٌ لم تنلْ منهـا الشفارُ
ومِنْ تحتِ التُّرابِ أخى كليبٌ
يُنـادى يالَتغلبٍ البِـدارُ
يُناديكم لُيوثَ بنى أبيـــــهِ
فلبُّوهُ ، على الغـــدر المُغـارُ
على مَنْ ضيَّعُوا القُرْبى وباتوا
يدُسُّون الدَّسائسَ أينَ ساروا

(١) متع النهار : ارتفع أو بلغ غاية ارتفاعه

فهل أسـدى لهم غـيرَ المعـالى
فـكان لهم به العـلمُ المُنَـارُ
وكان الليثَ دونهمُ يُحامى
وكان الـكهفَ يؤوِى مَنْ أجاروا
وكانَ الغيثَ يأتيهمْ ربيعاً
وكانَ السيفَ تحمِـلُه نزارُ
لقـد أوْدَوا به حسـداً وباتوا
ومن كيـدِ الحسود لهم شِعارُ
فما الجساسُ غيرَ صـدًى لِحقدٍ
تغلغـلَ فى قلوبهمُ فثـاروا
فَهُبُّوا للسيوفِ تقـلَّدُوها
وخلُّوا الخيـلَ يحجبُهـا الغُبـارُ
وقُوموا للرِّماحِ فأشْرِعوهـا
وخلُّوا الحربَ يوقدُها النِّفارُ
فوالهفى عليكَ أخى كليبٌ
نأيتَ وكيفَ لى عنك اصطبارُ

« خذ العهـد الأكيدَ علىَّ عمرى
بتركى كلَّ ما حوتِ الديارُ »(١)

« وهجرى الغانياتِ وشربَ كأسٍ
ولبسى جُبَّـةً لا تُسْتعارُ »(٢)

« ولستُ بخالعٍ درْعى وسيفى
إلى أن يخلعَ الليـلَ النهـارُ »(٣)

« وإلاَّ أن تبيدَ سَرَاةُ بكرٍ
فلا يبقى لهـا أبداً أثار »(٤)

أبو نويرة :

أمهلهـلُ لا تعجلَنَّ فإنما
عهدى برأيكَ فى الحروب حَصيفا

« بكرٌ » ذَووك الأقربون ولا أرى
حقدَ القريبِ على القريبِ شريفا

أبناء وائلَ كلُّهم لك عُـدَّةٌ
تدعُ الزَّمانَ بعرفِهِ مَصروفا

جساسُ واترنا فإن نَظْفَرْ به
ما ذنبُ بكر أن تُبادَ أُلوفا

(١و٢و٣و٤) الأبيات الأربعة لمهلهل

فإذا حَمَتْـهُ ولم تُمَكِّنْ سَيْفَنَا
منـــه خَفَفْنا للطِّرادِ زُحوفا

المهلهل :

فدعْنا نُسرع الزَّحْفا ونسقى بكراً الحتفا
فما بكرٌ لنا إلا عدوٌّ خان ما أوفى
يريدونَ الهوانَ بنا وأنت ترى لهم نَصْفا ؟

أبو نويرة :

إذا نحنُ لم نُعذِر لبكرٍ فاننا
نُفاجأُ من بكرٍ برأيٍ مُوَحَّـد
وإن نحنُ أعذَرْنا فَرُبَّ قبائلٍ
تُمارِقُ شيْباناً إلينـا وتغتدى
فنُعملُ فيهـا بعـدَ ذاكَ سيوفَنا
ويُنصَرُ مظلومٌ على ظالمٍ عدى(١)
ولستُ بقولى عن لقاءٍ مُثَبِّطاً
ولا ناسياً ثأرَ المليكِ المُمجَّدِ

(١) عدى : اسم المهلهل . وهو منادى حذفت أداة ندائه

ولـكننى أدعو لما هُوَ صالحٌ
من الرأى حَتى يُحْمَدَ الأمرُ فى الغد
فَذَرْنا نُسَيِّرْ من ذوينـا ثلاثةً
شيوخاً لهم بالقول حـدُّ المهنَّدِ
نُطالبُ شيباناً بجساسَ وحـدَهُ
وإلاَّ بهمَّـامَ العزيزِ المسوَّدِ
فانْ مَنعُوا هٰـذَيْنِ عنـا فَمُرَّةٌ
وما بعـدهُ من مَطلَبٍ لِمُزَوَّدِ
فان رفضوا فالحربُ ، واللهُ شاهدٌ
بأنكَ لم تَجْنَفْ عليهمْ وتعتـدى
وأنكَ آثَرْتَ الصـلاحَ وأنهم
أبَوْهُ ولم يُصْغوا لإرشادِ مُرْشِـدِ
وهذانِ «عتَّابٌ» و«سعدُ بنُ مالكٍ»
مع « ابن أبانٍ » يذهبونَ لِمَوْعِدِ
ويجلونَ من شيبانَ باطنَ أمرِها
ومن بعـدِ هٰذا رِدْ بنا أىَّ مَوْرِدِ

فأنتَ لنا من بعد «وائل»[1] سيدٌ

فأَنعِم به مِنْ سَيِّدٍ بَعْدَ سيد

« تظهر على وجوه الشيوخ علائم الارتياح لرأى أبى نويرة »

ابن أبان :

قال قولاً أبو نويرةَ حقًّا

فمن الحزم أن نجارى بيانَه

هو كُفْءٌ لكل رأى سديدٍ

كم أرانا فى المعضِلاتِ افتِنانَه

وهو فى الحربِ ذو بلاءٍ عجيبٍ

يدعمُ الرأىُ سيفَه وسنانَه

« المهلهل وقد أخذته الحدة لتأييد ابن أبان قول أبى نويرة »

لكم رأيكم سيروا عليه وإننى

لأَرجو لكمْ منه حميدَ العواقبِ

وأمّا أنا فالعهدُ عُمْرِى قطعتُه

بأنِّىَ لا أنسى قتيلَ الذَّنائِبِ

---

(١) وائل : اسم كليب .

فليس له جساسُ عَدْلاً[١] ولا أرى

بهمامَ ما يَجزى[٢] بأدنى المطالبِ

ولا مُرَّةٌ أرضاهُ يوماً بِشَعْرَةٍ

ثَوَتْ مِنْهُ فى لَحْدٍ كريمِ الجوانبِ

ولـكننى لا أمنعُ الوَفْدَ رِحْـلةً

لشيبانَ تنفى عنْـكُمُ عَتْبَ عاتبِ

فان جَنحوا للسّلم فهو لخـيرِهم

وإلاَّ فمن حظِّ السيوفِ القواضِبِ

ولا سِلْمَ حتى يُنشِرُوا من تُرابهِ

كليباً يَجُرُّ الذَّيلَ جرَّةَ آيبِ

ابن أبان :

فقوما إذن أبناءَ عمِّىَ نغتدى

لشيبانَ

المهلهل : سيروا واحـذروا مَـكْرَ كاذِبِ

وكونوا كما ترضى المعالى لِسانُـكم

كصارِمكم يجلو ظلامَ النوائبِ

---

(١) العدل : النظير ، المثيل

(٢) يجزى : يكفى

« المنظر الثانى »

« فى منازل بنى بكر فى النهى ، فى خيمة مرة . وفد تغلب . بعض أولاد مرة و بعض شيوخ تغلب ، مرة آتياً من ظاهر الحى فيرى الوفد » :

مرة :

أرى ابنَ أبانَ فى ربعى ... وعتّاباً ، وذا عمرو
فأهلاً يا بنى عمى ... بكم قد أُثلجَ الصَّدْرُ
أتيتُم حىَّ أهليكم ... فزيّنَ رَحْبَهُ البِشرُ

ابن أبان :

أتينا حىَّ أهلينا ... وأهلونا لقد ظلموا
فإن أنصفتمونا اليومَ ، نعمَ الأهلُ والحكَمُ

مرة :

فما ظُلْمٌ أتيناهُ ... ولكنْ ذاكَ مقدورُ
مُصابٌ كانَ عن طِيشٍ ... فقلبى منه مشطورُ

ابن أبان للجميع :

بنى عمنا جئنا لنعذِر قبلما ... تُقطَّعُ أرحامٌ وتودىٰ أواصِرُ
بناب قتلتم سيداً تعرفونه ... جليلاً له فى المكرُمات مآثِر
فهل لكُمُ من قبل أن تُشرعَ القنا ... لحربٍ وتُستلَّ السيوفُ البواتِرُ ؟
بأن تُسلِمونا واحداً من ثلاثةٍ ... يَقِرُّ به ثأرٌ ويهدأُ ثائرُ

فجساسُ أو هَمَّامُ أو مُرَّةٌ وما بمطلبنا جَوْرٌ إذا جار واتِرُ
هى الحربُ إن شبَّتْ فأبناءُ وائلٍ يذوقونَ منها ما الحكيمُ يُحاذِرُ
وهيهاتَ بعدَ الكسرِ أن يُجْبَرَ الإنا وهيهاتَ بعد الحرب سلمٌ تُبادر

« يطرق مرة رأسه والحاضرون من وجوه بكر يتبادلون النظرات ويتهامسون » .

تميم بن مالك :

تكلَّمْ أبا همَّام ما شئتَ كلُّنا
لِما أنتَ تُلقيهِ من القولِ ناصرُ
تَكَلَّمْ ولا تخشَ انخذالاً فإننا
سيوفُك لا دارتْ عليكَ الدوائِرُ

مرة :

بنو تغلبٍ أبنـاءُ عَمٍّ أكارمٌ
لهم فى ذُرى العلياءِ شيدَتْ منائر
لهم دمُنا إن يحقِنوه فإننا
نذودُ العِدا عنهم به ونُناصِرُ
وإن هُمْ أرادوهُ بثأرٍ فإننى
أقولُ وقد جاشتْ بنفسى المعاذرُ

لـكم ذاكَ ، لـكن ، أين جساسُ ؟ إنهُ
طريدٌ ، بعيدٌ فى المهامِهِ[١] سادرُ[٢]
ولستُ عليــه ياامرأ القيس قادراً
لِأُسْــلِمَهُ وهو الشريدُ المحاذرُ

ابن أبان : فَهمَّامٌ أبا همــامَ

مُرَّة : . . . . . هذا ليس من شانى
فهمَّامٌ أبٌ وأخٌ وعمٌّ خــيرُ مِعوانِ
لأبنـاء وإخوانٍ وأبنـاء لإخــوان
ثلاثون إذا عُدّوا وإن شــدوا فألفان
فإن أسلمتُه ثارتْ بنوهُ ثورةَ الجـانِ
وصاحوا ليس همَّامٌ أبونا بالفتى الجـانى
فلا نرضى بأن يُرْدَى لمعروفٍ وإحسانِ
نُفَـدِّيهِ بأرواحٍ لنا من كلِّ عُدوانِ

ابن أبان : فأَنتَ .

مُرَّة : أنا ؟ هل غير شوطٍ تجولُه
بحومتها الخيلُ العتاقُ فأُصرَعا ؟

---

(١) المهامه جمع مهمه وهى المفازة البعيدة ، البلد القفر .
(٢) سدر فى البلاد : ذهب فيها هائما على وجهه .

فلستُ إذن أجرى إلى الموت طائعاً
وقد بات يجرى الموتُ نحوىَ مُسرِعا
ولـكن إذا رُمْتمْ صلاحاً ونَصْفَةً
ورأياً لأشـتاتِ القلوبِ مُجمِّعا
أولاءِ بَنِيَّ الآخرونَ فأيُّهمْ
تشاءونَ قودوهُ بثأرٍ مُجدَّعا
وإن شِئتموا ألفاً من النوقِ
ابن أبان بانفعال : . . . . . لا تزد
فحسبُك قد آذيتَ قلباً ومِسْمعا
فلم نأتِ نبغى من بنيك رُذالَهم(١)
بثأر الذى كادَ العُـداةَ وروَّعا
ولم نأتِ نستامُ النياقَ بِسيِّدٍ
إذا زين يوماً زان شيبان أجمعا
فهيَّا بنى عمى نَسِرْ فى سبيلنا
فقد بان مَنْ قد كان منهم مُقَنَّعا

مُرَّة : رويدك فاجلس

---

(١) الرذال : ما انتفى جيده وبقى رديئه

ابن أبان وهو خارج مع الوفد : ليس لى بَعْدُ ، حاجةٌ

فقد أعذر الموتورُ حفاً وأسمعا

ولم يبق إلا السيفُ يُنْصِفُ بيننا وكم قدَّ غربُ السيف للظلم أضلعا

مرة لبنيه :

قوموا بَنىَّ واصلحوا من شأنكم وتهيئوا لتطاعُنٍ وضِراب

أبناء تغلب فى غدٍ يغشونكم فاستعصموا بأسنَّةٍ وحِراب

obeikandl.com

الفصل الخامس

« المنظر الأول »

[المشهد الأول]

« فى ديار بنى تغلب ، فى خيمة المهلهل . المهلهل . أبو نويرة بعد مضى ما ينيف على ثلاثين سنة على الحرب » .

المهلهل :

« أكثرتُ قتلَ بنى بكرٍ بربِّهم
حتى بَكيْتُ وما يبكى لهمْ أحَدُ[1] »

« آليتُ بالله لا أرضى بقتلِهم
حتى أُبهرجَ بكراً أينما وُجِدوا[2] »

قد بات « حطلة[3] » تحت التُّربِ مضجعُهُ
وبات « همَّامُ » يبكى فقدَهُ الولدُ
وبات « مُرَّةُ » يرثى فقدَ ناصرِهِ
وقلَّ فى جانبيهِ الأهلُ والسندُ

(١ و ٢) البيتان لمهلهل
(٣) أحد أبناء مرة

فى كلّ معركةٍ فرّقتُ جمعَهُم
والسيفُ يحصدُهُمْ والطير تحتشدُ

فى « النِّهى[١] » أنزلتُ فيهم كلَّ داهيةٍ
وفى « الذنائب » كم من سَيِّدٍ فَقِدُوا

وفى « عُنيزةَ » عضَّ السيفُ هامَهُم
وفى « القُصيباتِ » لم ينفعْهُم العَدَدُ

ويوم « همامَ » إذ أودى الحِمامُ بِهِ
فى « واردات[٢] » هناكَ الذلُّ والنَّكَدُ

روَّعتُهم فجَلَوْا عن كل منزلةٍ
أين القرار ؟ فإنَّ الزائرَ الأسدُ

وكم أغرتُ على « جساسَ » أطلبُه
فلم أجدْه فأين اللؤمُ والحسدُ ؟

أين اختفى ؟ أفلا يحمى حِماه ؟ ألا
يذود عن حوضه والحربُ تتقد ؟

قالوا شجاعٌ ، فما بالُ الشُّجاعِ غدا
مستخفياً فى نواحى البيدِ يرتعِدُ ؟

---

(١) النهى ، الذنائب ، عنيزة ، القصيبات ، واردات : هى أهم المعارك فى حرب البسوس
(٢) النكد : عسر العيش .

يخشى حُسامى ويخشى أن ينازلَنى

فى معركٍ ، أين منه الصبر والجلد ؟

أبو نويرة :

منذ اصطرعْنا يومَ واردات ِ
لم ألقَهُ فى مَعْركِ الكُماةِ
يا لهفَ نفسى لم تَنلْ قَناتِى
منه حنايا الصَّدرِ واللَّبَّاتِ
ولم تَطِبْ بقتلهِ حياتِى

[المشهد الثانى]

(يظهر امرؤ القيس ابن أبان قادماً من سفر)

المهلهل : من أين يابن أبانٍ ؟

ابن أبان : من أرض بكرٍ أتَيْتُ

المهلهل : وما وراءك ؟

ابن أبان : . . . . . إنى بما يَسُرُّكَ جئتُ

فلقد لَقيتُ بأرضِ بكرٍ صاحباً

من أصدقِ الأصحابِ فى الأقوامِ

أنهى إلىَّ بأنَّ مُرَّةَ مُشْفِقٌ
أن يَلْحَقَ الجساسُ بالهَمَّامِ
فلذاكَ أرسلَهُ إلى أخواله
منذُ الغداةِ إلى بلاد الشامِ

المهلهل : هل سار جساسٌ وحيداً ؟

ابن أبان : خمسةٌ
معه غَدَوْا من خيرة الفُرْسان
هُمْ فى الطَّريق فَمُرْ أسِرْ لِلقائِهم
وأُذِقْهُمُ جمعاً لَظى النيران

المهلهل : فأنا الذى أغدو لأشفىَ غُلَّتى

أبو نويرة : لا ، أنت تبقى يا أبا الشجعان
فاذا تركتَ الحىَّ أخشى طارقاً
يغشاه

المهلهل . . . . . خابَ مُريدُه بِهَوَانِ

أبو نويرة :

واللهِ لا يغدو سواىَ فاننى
مُتَعطِّشٌ لِدِما بنى شيبانِ

المهلهل :

خُذمِنْ رِجالكَ مَنْ تشاء إذن وسرْ
واللهُ عونُكَ فى وَغًى وطِعانِ
قد حانَ من جسَّاسَ أن يلقى الرَّدَى

أبو نويرة وهو خارج ويخرج معه ابن أبان :

سأذيقهُ طعمَ الرَّدى بسنانى

[المشهد الثالث]

(تظهر أم ليلى امرأة المهلهل ومعها أخته هند)

أم ليلى :

لقد مَضَتْ السنون وأنتَ شاكٍ
سِلاحَك تقتفى أثرَ العِداة
ولم تخلعْ قميصاً تَرْتَدِيهِ
وما مَتَّعْتَ نَفْسَكَ بالحيـاةِ
فَهَيَّا فاغتسِلْ بالماء وألبَسْ
جديداً من ثِيابٍ فاخراتِ
فقد أشفيتَ غُلَّكَ من عدُوٍّ
ولم تَتْرُكْ لبكرٍ من سَرَاةِ

هند :

أخى يكفيك قد أكثرت قتلاً وفتكاً فى بنى بكرٍ ذريعا
فقُمْ واسْمَعْ تَوَسُّلَ أمِّ ليلى وكن لِكلامِها أبداً مُطيعاً

المهلهل :

أأبغى بعدهُ يا هند لهواً ؟ وأنْعَمُ فى صنوفِ الطيِّباتِ ؟
وأدّرِعُ الجديدَ وأقْتَنيهِ وأطّرِحُ السيوفَ المُرْهَفاتِ ؟
وأغسِل مُسْرِفاً بالماء جسمى وجسمُ أخى طعامٌ لِلنّباتِ ؟
فلا والله لا يَخْتَلُّ عَهْدِى إلى أن أنْطَوِى فى الداهيات

« المشهد الرابع »

يرجع ابن أبان ومعه فارس غريب

ابن أبان :

يا أبا ليلى أتانا طارقٌ من بنى بكرٍ إلينا يَنْتَمِى
يدّعى أنَّ لَهُ فى تغلِبٍ نسباً يَسْطَعُ فوقَ الأَنْجُمِ

المهلهل ينتهر الفارس مجرداً سيفه :

من أنتَ ؟ ماذا أتى بِكْ ؟
قُلْ قَبْلَ سَلْخِ إهابِكْ

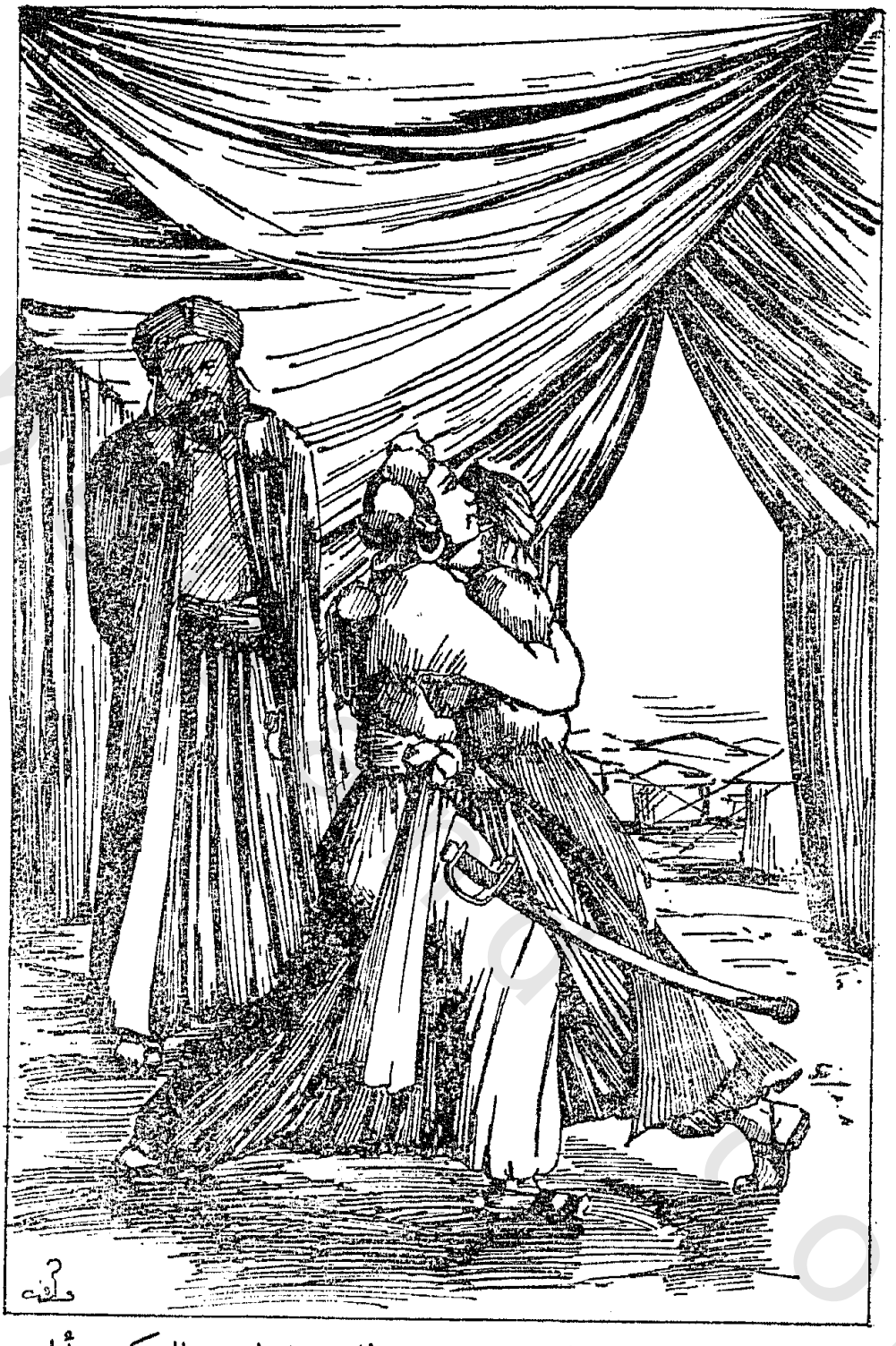

هذا هو الشبل قومى عانقيه فقد ... طابت بلقياه بعد الكرب أيامى

به رأيت كليباً قام منتصباً ... من قبره فمشى فى الحى قدامى

obeikandl.com

الفارس :

أنا الذى تُجلُّه الفوارسُ
أنا الكمىُّ البطلُ الممارسُ
أنا ابنُ مَنْ شقيقه المهلهلُ
ومَنْ به دماء بكرٍ تُنهَلُ
أنا ابن مَنْ يُحنى إليه الراسُ
أنا ابنُ مَنْ أوْدَى به جسّاسُ

« يهجم المهلهل عليه ويقبل رأسه ثم يلتفت لأخته هند » :

قومى انهضى يا هندُ هذا « الهِجْرَسُ »
هـــــذا الذى تهوَىٰ لقاهُ الأنفُس
هـذا هو الشِّبْلُ قومى عانقيه فقَدْ
طابتْ بِلُقياهُ بَعْدَ الكَرْبِ أيّامى
به رأيتُ كُلَيْباً قامَ مُنْتَصِباً
من قبرهِ فمشى فى الحىِّ قُدّامى
فكمْ سمعتُ به والقلبُ يَرْمُقُهُ
والعينُ تَصْبو لمرأى نابهٍ سامِ
حتى قضى اللهُ من نفسى لُبانَتَها
وحَقَّقَ الدَّهرُ بعدَ اليأسِ أحلامى

« تتقدم هند وتعانقه وهى تنشج بالبكاء وأم ليلى تسلم عليه وتصافحه »

هند :

يا فرحةَ القلبِ بَعْدَ الحُزنِ والكمدِ
أهلاً بشبلِ أخى أهلاً بِمُعْتَمَدِى
أَحْيَيْتَ نَفْسِى فيا بُشْرَاىَ قد رَجَعَتْ
نفسى إلىَّ وأحْيَيْتَ قارِحَ الكبِدِ
هـذا كليبٌ أخى هذى مَخايِلُه
لقد بدا ماثِلاً فى طَلْعَةِ الأسـدِ
وهـذه يدُه يا طيبَ راحتِها
وتانِ عيناهُ والجُثْمانُ فى الزَّردِ

المهلهل :

تعالَ تعالَ كيف أتيتَ ؟ قلْ لى
وكيف تركتَ أمَّك والديارا ؟

« ثم يجلسه ويجلس معه » :

الهجرس :

ما كنتُ يا عمى أرى لى نسباً فى تغلِبِ
بل كان ظنى أنَّ جسَّاساً بدنياى أبى
حتى سمعتُ لفظةً قد بَدَرَتْ من مُغْضَبِ

علمتُ منهـا أننى مِن تغلبٍ فى منصِب
فقلتُ يا أُمَّ اسمَعى وَحدِّثى لا تـكذِبى
فمن أنا ؟ ومن أبى ؟ وما صريحُ نسبى ؟
قالتْ كليبٌ، وائلٌ أبوكَ زينُ العَرَبِ
خالُك جساسٌ رماهُ طائشاً بالعَطَبِ
وهـذه الحربُ التى قد آذنَتْ بالحَرَبِ
من أربعين حِجةً نيرانُها لم تُحجَبِ
من أجلِ ثأرٍ لم يَزَلْ طالبُهُ فى طلبِ
فقمتُ أعدو مُصلِتاً سَيفى وثأرى أرَبِى
فقيل لى خالُك للشـــامِ انتحى لِلهرب
فجئتُ يا عمِّى إليـــكمْ والأَسى يفتِكُ بى

المهلهل : وكيف أمُّك تقضى أوقاتَها ؟

الهجرس : . . . . . فى عَنـــاء
أسـيرةَ الهمّ دوماً حليفـةً للشقاء
تبـكى بدمعٍ غزيرٍ فى صُبْحِها والمسـاء
على الذين تردَّوْا مِن أهلِها فى اللقاءْ

المهلهل : وكيف شيبانُ ؟

الهجرس : أضْحَوْا جميعُهم فى بلاء

فتلك ثَكْلى تَراها حَيْرى تُبكّي رجاها
تجيبُها مِن بعيدٍ وَلْهى تنادى أخاها
فليس فى الحى إلاَّ حَسْرى مُصابٌ دهاها

المهلهل : ومُرَّة كيف حالُهْ ؟

الهجرس : . . . . . حالٌ تذيبُ الجمادا
شيخٌ لِفَقْدِ بَنيهِ لا يستطيعُ الرُّقادا
مروَّعٌ كلَّ يومٍ بما يَهُزُّ الفؤادا

المهلهل :

ذاك بعض الثأرِ من بكرٍ وما
ننثنى عن حربِهِمْ حتى الفناءْ

يلتفت لهند :

يا هندُ دِرعَ كليبٍ وَقَلِّديهِ الحساما

« هند وهى تلبسه درع أبيه وتقلده سيفه » .

فالبَسْ فديتُكَ نفسى كليبُ عادَ وقاما

[المشهد الخامس]

« تسمع ضجة قرب خيام المهلهل ، ويذهب ابن أبان ليكشف الخبر »
« يرجع تواً ومعه فارسان عليهما آثار الدماء »

ابن أبان :

بشرى تَسُرُّ ورُزْءٌ أصابَ قلبَ الجميعِ

جساسُ ماتَ ولكنْ يا لَلْمُصابِ الوجيعِ
أبو نويرةَ أمسى صريعَ ذاكَ الصَّريعِ
فيا فؤادُ تجلَّدْ وأسْعِدِى يا دُموعى

المهلهل : يا لَهوْلِ الخبرِ يا لَشؤمِ السَّفَرِ

للفارسين : ما جرى قُولا فلم يُغن فتيلاً حَذَرى

أحد الفارسين :

سرنا ثلاثين لا نَلْوى على أحدٍ
حتى لقِينا بجُنح الليلِ جساسا
وخمسةٌ معه من قومهِ تَخِذوا
إلى الشآم شِهابَ اللَّيلِ نِبْراسا
صِحْنا بِهم ثم كانتْ بعدُ معركةٌ
خال اللّبيبُ بها الأخماسَ أسداسا
فماتَ جساسُ تُدميه الجراحُ وقد
أصابَنا مِنْهُ ما أَدْمى لنا الرَّاسا
أبو نويرة يالَهْفى عليه قضى
فى الحرب وهو يقودُ الخيلَ عبَّاسا

لم يَبْقَ مِنَّا ومِنْهم غيرُ أربعةٍ
وقد رَجَعْنا إلى الأحياء أنكاسا(١)

المهلهل :

أسفى عليك أبا نويرةَ ياعِماد المجلس
يا فارسَ الهيجاءِ فى اليومِ العبوسِ ومؤنسى
ما مُتَّ قبل الثأرِ من ذئبِ اللِّئام الأطلسِ (٢)

[المشهد السادس]

« يصل إلى خيمة المهلهل فارسٌ لا يعرفه المهلهل »

« يدخل الخيمة »

الفارس :

يا أبا ليلى أبى أرسلنى
طامعاً منكَ بصُلح ووِئامْ
طالتِ الحربُ وأفْنَتْ نارُها
من بنى الأعمامِ شيخاً وغُلامْ
قد تحاماها أبى مُعْتزِلاً
فعسى خالى يرى رأىَ الكرامْ

---

(١) انكاس : جمع نكس وهو المقصر عن غاية النجدة والكرم
(٢) الأطلس : الذئب الأمعط فى لونه غبرة إلى السواد .

قد شَفَيْتَ النفسَ من غُلَّتِها
ومضى جسّاسُ فليأتِ السلامْ

المهلهل منتهراً :

من أين أنت ؟ ومَنْ ذا أبوكَ بينَ الرِّجالِ ؟

الفارس :

أنا بُجيرٌ ، وليثٌ أبى ، بعيدُ المصَالِ
الحارثُ بْنُ عُبادٍ وأنت فى المجدِ خالى

المهلهل . وما الداعى لأن يدعو لصلحٍ
أبوك ؟

بُجَيْر : أتاهُ مُرَّةُ يستجيرُ

فطرفٌ حاسرٌ يَهمِى دماءً
وقلبٌ من أذى البلوى كسير
وشيخٌ غالتِ الأيّامُ منهُ
قُواه وكادَ يقتلُهُ الضريرُ(١)
فقال بأن جسّاساً تردَّى
وأردى جُلَّ إخوتِه المُغيرُ

---

(١) الضرير : الصبر على مقاساة الشر .

وقد كادت بنو شيبانَ تَفْنى

فلا شيخٌ ولا طفلٌ صغير

فهلاَّ كلُّ ما قد حَلَّ تُشفى

به من فرط غُلَّتِها الصدورُ

(المهلهل مصوبا الرمح لصدر بجير)

إذن تبغون بعــدَ كليبَ صُلحاً

ابن أبان بحدَّة : . . . . . فمهــلاً يا مُهَلْهِلُ كن حكيما

فـلم نرَ من أبيه غَــيْرَ خَيْرٍ

وظلَّ على الودادِ لنـا مُقيما

فإن تقتلْهُ تلقَ الشرَّ مِنْهُ

وتلقَ البغىَ مرتعَهُ وَخيما

المهلهل و يطعنه :

فإن بغيا قتلتُك يا بجــيرُ

فبعضُ البَغْيِ أشْــفى للصدور

فهــذا الصلحُ تَطْلبُهُ حثيثاً

فبؤ لأبيك بالضلع الـكسير

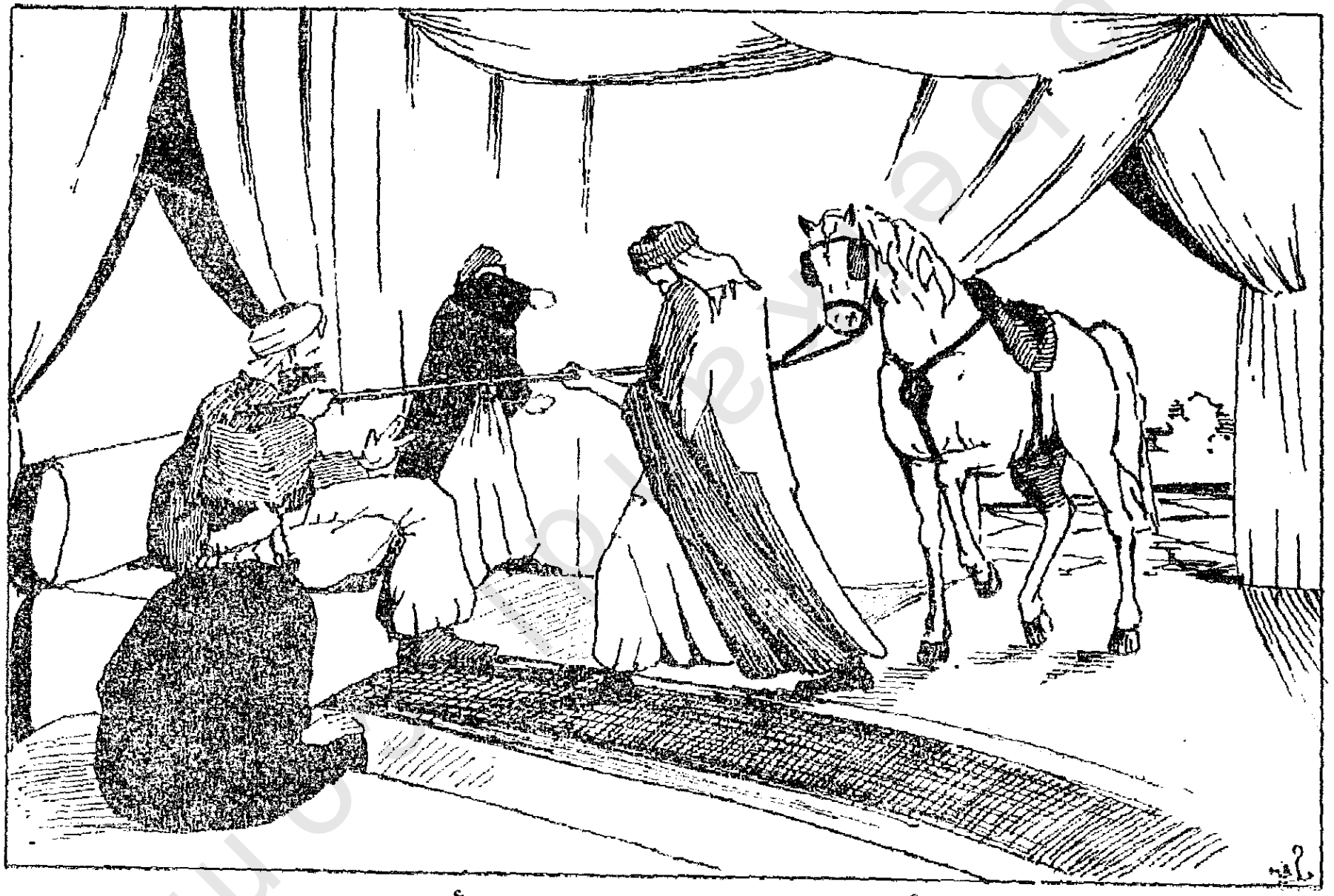

فإن بغياً قتلتك يا بجير فبعض البغي أشفى للصدور

obeikandl.com

بجير وهو يتخبط بدمه :

إذا كان فى قتلى شفاءٌ لتغلبٍ
بثأر كليبٍ ، فلْيطِبْ بعدهُ القتلُ
أموتُ قريرَ العين .

المهلهل : . . . . . مُتْ قارحَ الحشا
بِشِسْعِ كليبٍ ، ليس يُودْى بِكَ النَّعلُ

ابن أبان :

أسأتَ مهلهلاً وجَنيْتَ فِعــلاً
تُهجْنُهُ إذا ذُكِرَ الكرامُ
ولا يرضى به أبداً حميمٌ
ويَعجَبُ من قساوتِهِ الأنامُ
سيُردْى فى بُجــير كبشُ قومٍ
يقولُ فلا يُرُدُّ لَهُ كلامُ

« المنظر الثانى »

ف (٥)

[المشهد الأول]

أمام خيمة الحارث بن عباد بالقرب من موقع المعركة فى يوم « قضة » وهو المعروف بيوم « التحالق » .

الحارث بن عباد و بين يديه أسير من تغلب موثقاً بالقيود :

قد شَفَيْتُ النفسَ من واتِرِها
ثائراً فى يوم تحـــلاقِ اللّمم
فأَذَقْنا تغلِباً من حَرْبنا
صادقَ الطَّعنِ ، فأردَتْها النِّقَمْ
كم تجنَّبتُ رحاها عامداً
وبنو بكرٍ يقاسونَ الأَلَمْ
فأبى الغاشمُ إلَّا نَكْبتى
بِبُجَيْرٍ وهو عُنوانُ الكرَمْ

مستمراً وملتفتا للأسير :

وأنت يا ذا الأسيرُ قل لى
مهلهـلٌ أين أبتغيهِ ؟
فدُلَّنى إنْ تشا عليهِ
وفُزْ بما أنتَ ترتضيهِ

الأسير :

ولىَ الأمانُ على دمى ؟

الحارث : . . . . . ولك الأمانُ على دَمِكْ

الأسير : ولى الذِّمامُ على أبيكَ وثيق عهدٍ من فمِكْ ؟

الحارث : ولك الذِّمامُ ذِمامُ حُرٍّ ما تعوَّدَ أن يخونْ
فبنو عُبادٍ فى الأنامِ رُعاةُ عهدٍ صادِقونْ

الأسير : فأنا المهلهلُ .

الحارث مجرداً سيفه :

أنتَ ؟ تبًّا للأثيمِ الماكرِ
أفنيتَ قومَك بالقتالِ وبالعنادِ الجائرِ
وأصبتَ من قلبى بُجيراً فعلَ خَبٍّ غادرِ
أدعوكَ لِلْحُسنى وأنت تَصُدُّ صَدَّ مُكابر
فكأنَّ قلبكَ جَلْمدٌ لا يستجيبُ لِزاجر

المهلهل : ألعهدُ يابنَ عُبادٍ .

الحارث : . . . . . ما إنْ نَسيتُ عُهودى
يكفيكَ ذُلُّ أسيرٍ وضجعةٌ فى قيودى
دُلَّنى الآنَ على كُفْءٍ تراهُ لِبُجَيْرِ
أنتَ أضحيتَ بِعهْدِى آمناً من كلِّ ضَيْرِ

المهلهل : ليس كفءٌ لبجير غيرَ ذاكَ ، ابنِ أَبانْ
هو فى تَغْلِبَ كبشُ القومِ فى يَوْمِ الطِّعانْ

الحارث مجرداً السيف : أين أين ابن أَبانٍ ؟

المهلهل : . . . . . قد مضى فى الهاربينْ
أضخمُ الفرسانِ جسماً يرتدى البزَّ الثمينْ

الحارث وهو يغادر المكان :

سوف أُرْديه وَتبقى بَعْدَهُ حَيًّا طَليقا
فلك الويلُ فكم خُنْتَ خَليلاً ورفيقا

المهلهل وحده :

فَلِيَ الويلُ فما شأنى وشأنُ ابنِ أبان ؟
أذهلَ الهمُّ وما لاقيتُ فى الأسْر جَنانى
هَبْهُ يسعى لمباراتى بحربى وطِعانى
وإذا قُلتُ فلا يَحمَدُ قولى وبيانى
ويرى فى كلِّ ما افعلُ ما يحقِر شانى
أفما يضرِبُ بالسَّيف بيومِ المعمعان ؟
ويُبيدُ القِرْنَ فى النَّقعِ بسهمٍ وسنانِ
وتراهُ بكُلَيْبٍ ثائراً طولَ الزمانِ
ما دهى عقلى ؟ وما فى نَكْبةِ الأسرِ رمانى ؟
هُزِمَتْ تغلِبُ فى الهيجاءِ واغتيلَ حِصانى
وفشا القتلُ بأعوانى ولم أبرحْ مكانى
طاعناً بالرمح ضرَّاباً بمصقول يَمانى

الآن تطلق صاغراً من بعد جز الناصية

obeikandl.com

فأتانى ابنُ عُبادٍ غيرَ نِكْسٍ أو جَبان
قادَنِي للأَسْرِ إذ لاقيتُ فى الأسرِ هوانى
أنا لولا الثأرُ لم أطلبْ حياتى بلسانى
ولَما أسْلمتُ إلاَّ بعد ما أقضى عِنانى

(يرجع الحارث بن عباد وسيفه يقطر دما)

الحارث للمهلهل :

قد قتلتُ ابن أبانٍ فهو كُفْءٌ لبجير
أنت بالعهد ستمضى مُطْلقاً من قَيْدِ أسرى

(ثم يجز ناصية المهلهل ويطلقه وهو يقول) :

الآن تُطلق صاغراً من بعد جزّ الناصيه
أنا لست أخشى يا مهلهلُ من عِدائك عاديه
فاذهب لتغلِبَ إنَّ تغلبَ رُوِّعت بالداهيه
واذكرْ لها ما قدْ رأيتَ مِن الخِلالِ العاليه
وكفاكَ يابنَ ربيعةٍ لا تَبغِ حربىَ ثانيه
فلقدْ أصبتَ ، وقد أُصِبْتَ ، فدعْ لقومكَ باقيه
ولقد غلوتَ بما أرقْتَ من الدماءِ الزاكيه
طالتْ على أقوامِنا ويلاتُ حربٍ حاميه
فارجِعْ إلى رأيِ السَّلامِ وكفَّ دمعَ الباكيه

المهلهل وهو ذاهب :

منتَ بإطلاقى من الأسرِ بعدَما
حقنتَ دمى بالعهدِ يابنَ عُبادِ
فنعمَ الحميدُ الفعلِ أنت وإنها
لمكرَمةٌ تُروى ونهجُ رشادِ

[المشهد الثانى]

(يصل بعض فرسان وشيوخ بنى بكر إلى خيمة الحارث)

أحد الفرسان :

خُتِمَتْ معركةُ اليومِ بنصرٍ باهرِ
هُزِمَتْ تغلِبُ وارْتَدَّتْ بذُلٍّ قاهرِ
وثأرْنا لِبُجَيْرٍ ثأرَ حُرٍّ قادر

آخر : يهنيكَ يابنَ عُبادٍ أنهم هُزموا
من بَعْدِ ما أثْخِنُوا قَتْلاً وتَنْكيلا
فذاكَ ثأرُ بُجَيْرٍ إنَّهُمْ فَجَعُوا
بكراً وداسوا على آسادِها الغيلا
يوم التحالُقِ كانَتْ فيه نَكْبَتُهم
قد أحْسَنُوا فيهِ تسليماً وتجديلا(١)

(١) التجديل : السقوط على الجدالة وهى الأرض . علامة التسليم

آخر : لم تَذُقْ تَغْلِبُ مثلَ اليومِ ذُلاًّ وانكِسارا
فتكَ السَّيْفُ بها فتكاً وأصْلاها بَوارا
لا أراها بعد ذا اليومِ لحربٍ تتبارى
أو تُرَى فى أرض نجدٍ تبتغى فيها قَرارا

الحارث :

ثأرْتُ ولكنْ مِنْ يمينى ومن كفِّى
وأتلفْتُ إذ أَتْلَفْتُ من تغلب طَرْفى

أَلَيْسُوا بنى عمى ونسلَ بنى أبى
وأنْفَهُمُ إن عزَّ أو إنْ دنا أَنْفى

فإن خُذِلوا يومَ التحالُقِ إنما
بخِذْلانِهِمْ أنزلتُ فى مَعْشَرى خَسفى

وقُدْتُ(١) بُجيراً من بجيرٍ ولم أكن
قريراً لما ألحقتُ بالقومِ من حَتْفِ

[المشهد الثالث]

« يصل ثلاثة فرسان مقبلين من أرض تغلب »

أحد الفرسان للحارث :

---

(١) قدت : حملت الى القتل أى قتلت . و (من) فى البيت بدلية

كيف أطلقتَ من الأسر، الذى أدمى القُلوبا
كيف لم تُنزل به الشرَّ وتسقيه شَعُوبا[1]

الحارث :

أنت تَعْنِي مُهلهلاً ذاكَ بالعَهْدِ قد مَضى
مُطلقاً لم يُصَبْ أذًى وهو قد جُزَّ وارتضى

فارس آخر :

علمتُ بأنه من بعد هـذا
غـدا فى تغلب صعبَ المقـام
أشار عليهمُ فى أن يَخِفُّوا
إلى بكرٍ ببـادرة السَّلامِ
وقال بأنه لولا كليبٌ
لَسَاهَمَ بالمحبَّـــــةِ والوِئام
وفارَقَهُمْ ولا أدرى أأمسى
بأرض الروم أم أرض الشآم

آخر :

سمعتُ بأنه أجرى ركائبَه إلى اليمن

---

(١) شعوب : اسم للمنية .

جمع الله شملنا بَعْدَ بُعْدٍ وخصامٍ مُبدِّدٍ وتلاحِ
لا عتابٌ وليس ذكرٌ لماضٍ لا ديات ولا قصاصُ الجراح

obeikandl.com

يحلُّ بجنب[1] معتزِلاً يقيمُ بها مدى الزمن

أحد الشيوخ :

فليُقِمْ أين أقامْ ما عليه من مَلام
قد دعا تغلبَ للصلح وإيثار السَّلام

الحارث :

إذا تغلبٌ مالتْ لِصُلْحٍ فإننا
لِصلحِ بنى العمِّ الكرامِ نميلُ
وكم قد دَعَوْنا للسَّلامِ فلم يُصِخْ
لداعيهِ منهمْ عاقلٌ وجهولُ

« المنظر الثالث »

ف (٥)

« فى ديار تغلب ، شيوخ بكر وتغلب مجتمعون للصلح »

الحارث بن عباد :

جمعَ اللهُ شملَنا بَعْدَ بُعْدٍ
وخصامٍ مُبَدِّدٍ وتلاحِ
واحترابٍ أبادَ منا قوانا
فأَلِفْنا فى الحىِّ صوتَ النّواح

---

(١) جنب : بطن فى مذحج القبيلة اليمنية .

يابنى تغلبٍ وبكرٍ جميعاً
جمعَ اللهُ أمرَكمْ للصَّلاحِ
أىّ يومٍ هـذا أراهُ ؟ وأنتمْ
فيه تَجْرُونَ للعُلا باصطِلاح
أىّ يومٍ هـذا أراهُ فإنى
ثملُ القلبِ من سرورٍ براح
ماتُريدون؟هل تريدونَعَدْلاً ؟
يشملُ الناسَ بالدِّما والجِراح ؟
أم تُريدونَ ما تَسامى عنِ العَدْ
لِ مُدِلاًّ بوجههِ الوضَّاح ؟

أحد الشيوخ :
أىُّ شىءٍ كالعدل يابن عباد ؟
آخر : أىُّ شىءٍ كالعدل للاصلاح ؟
آخر : أىُّ شىءٍ يكون ذاك أفدنا ؟
الحارث : ذاكَ فعلُ الرِّضى وفعلُ السَّماحِ
الهجرس : ألسماحُ السَّماحُ ،
آخر من تغلب : ألصفحُ الصفحُ ـ
آخر : ـ الوِئامُ المزيلُ للأتْرَاحِ

مُرَّة : والسلامُ العميمُ فالحبُّ فالعَطْفُ ـ

آخر : اللقاءُ المقيمُ للأفراحِ

الحارث :

ذاكَ فِعْلُ الكرامِ فى ظُلْمَةِ الخط

بِ غِرارِ الوجوهِ كالمصباحِ

ذاكَ فعلُ الكرامِ ضاءَتْ معانيـ

ـهِ وضاعَت بطيبِها الفوّاح

ذاكَ فعلُ الكرامِ يَبْقى على الدَّهْ

رِ منارَ الهدى ورَمْزَ الفَلاحِ

لا عتابٌ وليس ذكرٌ لماضٍ

لا دِياتٌ ولا قصاصُ الجِراحِ

الهجرس

قد عهدناكَ مُذْ وُجِدْتَ كريماً

ليس بدعاً تقولُ قولَ الكرامِ

كنتَ فى السِّلم والحصامِ شريفاً

كنتَ فى الحرب داعياً للوئام

كنت بالثأرِ دامِيَ القلبِ تشكو

كيف تودى دِما بنى الأعمام

هـذه تغلبٌ تمُدُّ يَدَيهَا
لسلامٍ يُعيدُ عهـدَ السـلام
بقلوبٍ مَلَـكْتَهَا بجميـــلٍ
ليسَ ينسى الجميـلَ غـيرُ اللئام

مرة :

أسْـدَيْتَ لِلْحَيَّيْنِ نُصحاً خالصـاً
وجعلتَ حظَّكَ منهُ حظَّ المشترى
يمحو الظلامَ بنـورِهِ ويَظَلُّ فى
لَأْلائِهِ مُتبـــدّياً للمُبصر
فبنو عُبادٍ لا يزالُ أميرُهم
يُسـدى الجميل لمقبلٍ ولِمُدْبِرِ

الحارث للهجرس :

قُمْ هِجْرسُ اعْقِدْ رايةَ السَّلامِ
فى حضْرة الأخوالِ والأعمـامِ
عهـداً على تغلبٍ الـكرامِ
ما بعدَ هـذا اليومِ من خصامِ

الهجرس : أعْقِدُ باسمِ اللهِ هـذى الرايه

عقدَ الوفا ما دمتُ للنهـايه
عنى وعَنْ قومى كرامِ الغايه
(زغاريد وأصوات استحسان)

الحارث : قم أيهـا الشيخ الجليـلُ مُرَّه
واعقد لنا عهـد الوفا وصُرَّه
كم ذقتَ من كيد الزمان مُرَّه
عساك تُحبى منـه بالمسرَّه
وتُدفَنُ الأحقادُ هـذى المرَّه
فمالها من بعدِ هذا كـرَّه

مرة يعقد الراية :

لأعقدنَّ راية الأمانِ
عنى وعن قومى بنى شَيْبانِ
على الوفا والبرِّ والإحسـانِ
لتغلبٍ منَّا مدى الزمانِ
(زغاريد وأصوات استحسان)

الحارث : وها أنا أعقـدُ لِلـكرام
عهدى على الوفاءِ والسَّلامِ

عنى وعَنْ قومى مدَى الأيامِ
واللهُ يرعى راعىَ الذِّمامِ
بعينهِ فى البَدْءِ والختامِ
(زغاريد وأصوات استحسان)

« ستار الختام »

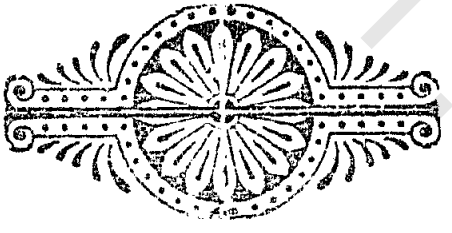

obeikandl.com

تصويبات

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
يغار	يُغادر	٢٤	٤
فإنَّ	وان	٢٥	٦
وأملأ	وأُملأ	٣٠	١١
مذجح	مذحج	٥٣	١٥
عدرت	عدَوْتَ	٥٨	٦
منازالكم	منازلكم	٦٢	٧
نَكس	نِكس	٦٥	٥
قِمرة	قَمْرة	٩٤	٩
بامرأ	يامرأ	١٠٩	٨
برأبك	برأيك	١١٢	١٨
حطلة	حظلة	١٢٣	٨

«ملحوظة ١» : لقد سقط البيت التالى :

(رَمَيتَ فصيلَها بالأمسِ ظُلماً وجِئْتَ اليومَ توقرُها نحوسا)

وموضعه فى صفحة (٢٥) والسطر (٥)

«ملحوظة ٢» : فى الصحيفة ٣٠ والسطر ١٠ حتى نهاية الصحيفة العجز طبع صدرا والصدر عجزاً .

obeikandl.com

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

obeikandl.com